تعاليم عن الكنيسة

تأليف: توماش شبيدلك

ترجمة: الإكليريكي دانيال أيوب يسىّ

تم ترجمة الكتاب من النَّصُّ الإيطالي بعنوان:

Catechesi sulla Chiesa

Lipa Edizione, Roma 2002.

الكتاب: تعاليم عن الكنيسة

المؤلف: توماش شبيدلك

المترجم: الإكليريكي دانيال أيوب يسىّ

الناشر: المنشآت البابويّة للرسالة المسيحيّة "سلسلة ثقافة الشباب الكاثوليكيّ"

المطبعة: مطبعة السلام بالهرم - ت: 3881601

رقم الإيداع:8961 / 2004

سلسلة ثقافة الشباب الكاثوليكي (12)

مقدمة الناشر:

ها نحن نقدّم كتاباً جديداً من سلسلة كتب "**ثقافة الشباب الكاثوليكي**". وكتاب اليوم يتحدث عن موضوع في غاية التشويق وقد تناوله **توماش شبيدلك** كعادته بعمق وبساطة لا متناهيين واستطاع من خلاله أن يبسط حقيقة الكنيسة كمؤسسة ونظام إلهي- بشري وتقدّم لنا أهم المبادئ اللاهوتية التي تحكم وجودها منذ أسسها المسيح على الصخرة وصار لها رأساً للزاوية وعريساً أبدياً.

وها نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين نرى الكنيسة أكثر نشاطاً وأبهى حضوراً وأوسع انتشاراً منها في أي وقت مضى.

وها هي الكنيسة اليوم تواجه تحديات القرن الحالي كما واجهت قبلاً تحديات العصور السابقة وانتصرت عليها.

وما زالت الكنيسة اليوم باقية رافعة الرأس تمد يدها فاتحة ذراعيها لكل الأمم ولشعوب بدون تمييز في لون أو عرق أو فئة.وها هي الكنيسة اليوم وقد امتدت بكهنتها ورهبانها وراهباتها في كل أصقاع المسكونة وقاراتها وبلادها.

وها هي الشعوب والدول المغلقة وقد بدأت تلبي النداء الملّح لتلك الأم الرءومة التي طالما مسحت الدموع وداوت الجراح، أطعمت الجوعى واحتضنت الساقطين لتقيمهم وتلبسهم حلة العرس.

وها نحن نرى شاباً من أبناء كنيستنا القبطية الكاثوليكية إكليريكي يدرس في روما وهو يجتهد ليشاطر إخوته ما أنعم الله به عليه من معرفة فيقوم بترجمة هذا الكتاب الثمين. وها هي المنشآت البابوية تقدّمه راجية أن يكون في ذلك خير للجميع.

الأب بولس جرس

مقدمة المترجم:

قال المسيح لبطرس بعد أن اعترف بألوهيتهَ، أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي! فما هي الكنيسة بالنسبة لنا في القرن الحادي والعشرين؟ هل نعتبرها مؤسسة إلهية أم بشرية أم أننا لا نعرف لأن الأمر صار مختلطاً لدينا؟ فنحن نسمع ونقرأ العديد من التعريفات والشروحات، كل منها يحاول توضيح ماهية الكنيسة على حسب فهمه لها متأثراً فيما يقول أو يكتبه بخبرته الشخصية.

وموضوع الكنيسة هو واحدٌ من أصعب الموضوعات التي يمكن أن نتحدث عنها، وهذا ما شجعني على الإقدام على ترجمة هذا العمل. ولقد وجدت فيه فكرة جامعة شاملة عن ماهية الكنيسة من وجهة النظر اللاهوتية، تتكلم بانتماءٍ قاطع لكن، بدون تعصّب وبسرد منزه للحقائق التي مرت بها الكنيسة عبر تاريخها إيجابية كانت أم سلبية.

أقدّم هذا الكتيب إلى كل من يريد أن يتعمّق في معرفة ماهية الكنيسة، وبصفة خاصة هؤلاء الذين يقومون بدور خدمي أو تعليمي فيها، حتى يستطيعوا أن يغرسوا في النفوس التي أُئتمنوا عليها هذه الحقائق اللاهوتية الخلابة عن الكنيسة. ليستطيع كلٌ منّا أن يردّد هذه الحقيقة الإيمانية الهامة كعضو حيٌّ في الكنيسة الجامعة مؤمناً بما يقوله: **نؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية.**

وبهذه المناسبة أود أن أشكر العاملين بمركز "**أليَّتي- ALETTI**" بروما على سماحهم لي بالقيام بهذا العمل، وتدعيمهم المادي الخاص بالطباعة. كذلك أتوجّه بخالص الشكر والتقدير للأب/ **بولس جرس** مدير كليّة العلوم الإنسانيّة واللاهوتيّة بالمعادي (الإكليريكيّة) على اهتمامه بالمراجعة والصياغة النهائية للنصّ وطباعته.

مؤلف الكتاب:

الأب توماش شبيدلك اليسوعي، السلوفاكي الجنسيّة، وهو أحد المتخصّصين في علم الآباء الشرقِيين، وقد عمل لسنوات عديدة بالتدريس في معهد الدراسات الشرقية بروما وفي جامعات بابويَّة أخرى إلى جانب إقامته وعمله بمركز "**أليَّتي- ALETTI**" المتخصّص في الدراسات الشرقيّة. وله العديد من المؤلفات التي تُرجمت إلى العديد من اللغات اللاتينية والشرقية وأشهرها كتاب "**الروحانية الشرقية**". وقد منحه البابا يوحنا بولس الثاني رتبة كاردينال في أكتوبر 2003، نظراً لما يقوم به من أعمال وكتابات.

المقدمة العامة:

"آه، حين كان البابا يرتدي التاج البابوي، هذا التاج المثلث الشكل، كان البابا بونيفاشيوس الثامن يشعر أنه في مرتبة أعلى من الأباطرة والملوك الأوربيين مجتمعين!" لا يمكن أن تعد هذه العبارة من قبيل الحنين، فليس هناك من يرغب في أن تعود هذه الأيام، ولا يوجد مسيحي أيضاً يتمنى سقوط الدولة البابوية أمام ازدهار الدول الأوربية. ومع ذلك يوجد كثيرون ممن ينظرون بقلق للعلمانية التي يتحول إليها عالمنا الحالي، والذي فيه تظهر الكنيسة كأنها شيء مرفوض وعلى هامش الأحداث والمشاكل التي تغرّق البشرية. وبهذا المعنى يمكننا القول بأن العالم يتطور بخطى سريعة.

أحياناً يتم شرح هذه الظاهرة، هكذا: عندما كان الكاهن هو الشخص الوحيد في القرية الذي درس وتثقف وكان على علم بما يحدث في العالم، كان من الطبيعي جداً ألا يتم أي شيء في القرية إلاَّ بموافقته. وكان رأيه في أي موضوع يعتبر بمثابة قانون. ولكنَّ هذا الزمن ذهب وبدون رجعة. أما اليوم فالناس لا تحب أن تفكر باستقلالية فحسب، وإنما تعتبر آراء الكهنة أموراً قديمة عفى عليها الزمن وتم تخطّيها، بل وحتى الإرشادات الأخلاقية يُحكم عليها بأنها تطفّل على الحرية الشخصية. كما أمسى تأثير المؤسسة الكنسية ضعيفاً بشكل ملحوظ في الحقل الثقافي والاجتماعي.

لكن في بداية القرن السابق، عايشنا أيضاً حدثاً عكسياً، ففي وسط هذه اللامبالاة نحو الكنيسة ظهرت دراسات جديدة حول الكينونة الحقيقية والروحية لها. وقد كان اللاهوتيون هم الأكثر اهتماماً بهذا البحث خاصةً بعد صدور الوثيقة البابوية (**الجسد السري**) للبابا **بيوس الثاني عشر** عام 1943. لم يتم تناول الكنيسة كظاهرة عامة، لكن كحقيقة سرية ومقدسة. بعدها بدأ ينمو في وعي المؤمنين وضمائرهم أن الكنيسة ليست منظمة سطحية أو مزيفة. ففيها يجدّد الله ما قاله منذ البدء: "*فلنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا*" (تك1: 26)[1]. وكما يقول القديس غريغوريوس النيصي إن كلمة "**الإنسان**" تعني كل البشر في كل مكان وزمان، لأنه بواسطة الكنيسة يصل جميع البشر إلى ملء الحياة الروحية.

يبقى ما يمكن تسميته بـ"**حجارة العثرة**"، فيما يخصّ علاقات الكنيسة كما كانت في الأزمنة السابقة، ففيها عيوب ونقص وخطيئة نكتشفها كل يوم. ولكن علينا ألا ننسى مع ذلك ما قد كتبه لاهوتي ألماني*: "*كان ضعف المسيح البشري بالنسبة لليهود علامة شك، وقد أدانوه إلا إن* اليهود أجابوه: "*لا نرجمك للعمل الحسن، بل للتجديف، لأنك، وأنت إنسان، تجعل نفسكَ الله*" (يو10: 33). " ومع ذلك فقد كان الحديث حول الطبيعة البشرية الخالصة وغير المدنسة: فقد كان يصنع المعجزات!

أمّا الكنيسة كمؤسسة بشرية فهي مليئة بالأخطاء والأشخاص الخطأة الذين ينتمون إلى هذا الجانب البشري للكنيسة. وبالرغم من كل هذا، فالناس تشعر اليوم أن الكنيسة هي المؤسسة الوحيدة التي تحوي

---

[1] **ملحوظة:** جميع الحواشي التَّوضيحية، وأيضاً الجمل التَّوضيحية بين القوسين [....] هي من وضع الترجمة. كما أن جميع الاستشهادات الكتابية مأخوذة من الكتاب المقدس، ترجمة دار المشرق، بيروت 1991.

*هنري دي لوباك Henri de Lubac ، كتاب "تأملات حول الكنيسة".

داخلها قوة التطهير لكل من يرغب، وهي أيضاً تستطيع القيام بعمل ما لا يمكننا أن نتخيله، وحيث لا نتوقعه، وأحياناً بصورة إعجازية.

وتابع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[2] في هذا الاتجاه الذي دافع عن الكنيسة على أنها "**سرية وأسرارية**". فقد وضع آباء المجمع نصب أعينهم هذه الحقيقة المؤكدة، أن الصورة الخارجية للكنيسة تتغير بحسب الظروف المختلفة وعلى الكنيسة أن تكون منتبهة ليس فقط بقبولها لهذه التغيرات، ولكن باستخدامها الإيجابي لها، حتى تستطيع إيجاد المكان المناسب لها في عالمنا ووقتنا الحاضر. لذلك فقد كان أول اقتراح لبرنامج المجمع هو تعديل البنية الكنسية بما يتوافق مع الزمن المعاش.

كان من المفترض وفي بداية الأمر أن تسير الأمور بسهولة، بحيث يمكن إيجاد حلول للمشاكل الواقعية من خلال حوار مختصر نسبياً. ولكن واجه آباء المجمع الصعوبات التي يمكننا أن نصيغها بهذا الشكل: «**كيف يمكننا أن نعدَّل من الكنيسة لتتو افق مع العالم العصري، إذا لم ننتبه بالدرجة الأولى لما هو أساسي لأجل حياة الكنيسة، لكينونة الكنيسة الحقيقة، وأن نميز هذه الحقيقة عما هو ملحوظ وظاهر ويمكنه أن يتعدل، أي ما هو ثانوي؟**».

تركز نقاش آباء المجمع حول هذه المشكلة بطريقة مباشرة فقد امتد وطال زمن انعقاد المجمع، ولكن النتيجة كانت معزية لأن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني هو واحدٌ من أعظم المجامع التي قد عقدتها الكنيسة على مرّ تاريخها، فقد خلب ألباب كل المسيحيين ودفعهم ليطرحوا نفس التساؤلات ويتفهموا النتائج والأجوبة التي اقترحها المجمع.

[2] عقد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في سنة 1962، وقد نادى بانعقاد هذا المجمع الطوباوي البابا يوحنا الثالث والعشرون، وقد وافته المنية أثناء انعقاد المجمع، وقد أكملت أعمال المجمع في عهد البابا بولس السادس الذي خلف البابا يوحنا الثالث والعشرون وانتهى العمل به في عام 1965.

الفصل الأول

مدعوون من الآب

متحدين بالابن في الروح القدس

الاسم "كنيسة"

مصدر كلمة "**كنيسة**" في اللغة اللاتينية **إكليسيا (ecclesìa)**، وهي بدورها مأخوذة من اللغة اليونانية. في القديم كانت تعني المكان الذي يجتمع فيه الشعب علانية عندما يدعوهم المنادي، وهو ما يُسمى **بكريس (kèryx)** والدعاة كانوا يسمونهم **بأكليساتوري (èkklestoi)**، وبهذا فهي تعني ببساطة المكان الذي يجتمع فيه الأشخاص. أمّا في اللغة اليونانية فهي معروفة **بسيلوجوس (syllogos)**، ولكن في الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (**synagogè**) وتعني المعبد.

في العهد القديم دُعيَّ شعب إسرائيل، ليجتمع على جبل سيناء من الله ذاته، كي يعلنوا قبولهم لشريعة موسى ويقدموا الذبائح، ويتعاهدوا على أن يحافظوا على العهد مع الله الحاضر في وسطهم. ونجد هذا عندما يقول: "*وصعد موسى إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني إسرائيل: قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على أجنحة العقبان وأتيتُ بكم إليَّ*" (خر19: 3-4). ويبين الله معنى هذا الاجتماع فيقول: "*والآن، إن سمعتم سماعاً لصوتي وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، لأن الأرض كلها لي. وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة وأمة مقدسة هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل*" (خر19: 5-6).

أمّا في **العهد الجديد** فقد أطلقت كلمة **"إكليسيا"** على جماعة المسيحيين الأوائل في أورشليم، وصاحبتهم هذه الكلمة في جماعات أخرى، وعلى سبيل المثال جماعة إنطاكية. وعلى الرغم من تزايد أعدادهم في وقت قصير، إلا أنهم كانوا يشعرون بالإتحاد الوثيق فيما بينهم. لهذا نجد أن كلمة "**كنيسة**" قد اتخذت معنىً جديداً، وهو الذين يجتمعون معاً. فصارت كلمة الكنيسة تعني **اتحاد الذين قد دعاهم المسيح لإتباعه، هي شعب الله الجديد، المرسل لخلاص البشرية جمعاء النائب عن شعب إسر ائيل في العهد القديم.**

الشاهد على هذا الإيمان في الكنيسة في النصف الأول من القرن الثاني، هو **إرما Ermal**، ويلقب بالنبي العلماني، ومازالت شروحاته وتفسيراته التي كتبها عن هذا الموضوع تُستخدَم حتى اليوم. وأولى هذه الشروحات تُظهر الكنيسة كما لو أنها شخصية حيّة، تأخذ شكل امرأة متقدمة في العمر بيضاء الشعر، وحين تقترب منها لتسألها من أنت، تسمعها تجيبكَ قائلةً: **أنا الكنيسةُ!** فتسألها ثانيةً فلما هذا العمر المتقدم؟ فتجيبك، **لأني خلقتُ قبل جميع الأشياء، ومن خلالي قد خُلق جميع ما في الوجود.**

المعبد الجديد

لقد دعا الله شعبُ إسرائيل ليجتمع به على جبل سيناء، وكان الإسرائيليون يشعرون بحضوره معهم. ونتيجةً لمتابعتهم للرمز الدال على حضوره الفعّال وصلوا إلى بناء هيكل أورشليم، حيث يجتمع الله مع شعبه بصفة رسمية.

أمّا في العهد الجديد، فقمة الحضور الإلهي كائنة في شخص المسيح، الذي أخبر عنه أشعياء النبي بقوله: "*فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية: هي إن الصبية تحمل فتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل*" (أش 7: 14)، **أي الله معنا**. أي إنه يظل دائماً مع من يؤمنون به، **وقد دعيت الكنيسة بالمعبد الجديد**، كمؤسسة روحية أسسها المسيح ذاته، وقد ورد هذا في إحدى رسائل القديس بولس، "*أما الأساس، فما من أحدٍ يستطيع أن يضع غير الذي وضع، أي يسوع المسيح*". (1 قور3: 11)، حجر الزاوية هو المسيح يسوع نفسه (أفس 2: 20 ب) وكذلك أيضاً نجد أن تلاميذ المسيح لهم دور خاص في ذلك: فبطرس دُعي "**صخر**"، أي الصخرة التي بنى عليها السيد المسيح كنيسته عندما خاطبه قائلاً: "*وأنا أقول لك: أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيستي، فلن يقوى عليها سلطان الموت*" (مت 16: 18). وتذكر لنا المزامير (18: 3، 71: 3)، أن الله هو صخرة الخلاص. وإذا كان بطرس صخرا، هذا يعني أن الله معه.

يحدثنا سفر الرؤيا عن الإثنى عشر صخرة كمكان أساسي، مع أسماء الإثنى عشر رسول. فيقول: "*وسور المدينة له اثنا عشر أساساً، عليها الأسماء الإثنا عشر لرسل الحمل الإثنى عشر*" (رؤ21: 14). وهو أيضاً الصخرة الحية، كما يذكره لنا القديس بطرس في رسالته الأولى فيقول: "*اقتربوا منه فهو الحجر الحي الذي رذله الناس فاختاره الله وكان عنده كريماً. وأنتم أيضاً شأن الحجارة الحية، تبنون بيتاً روحياً فتكونون جماعة كهنوتية مقدسة، كيما تقربوا ذبائح يقبلها الله عن يد يسوع المسيح*" (1بط2: 4-5). ويعني هذا أن **على المؤمنين أن يبنوا معبد الله في العالم كله**، من خلال ما يعيشون في حياتهم.

مدعوون لنكونَ فَعَلة في كَرمِ الآبِ

القول أن المؤمنين هم هيكل الله، يعني الحضور الحقيقي للمسيح والروح القدس فيهم، لكن الكلمة "**الله**" في الكتاب المقدس كانت تعني انتشار قوة الله الآب. لذا نجد أن أول عمل يقوم به يسوع في العالم هو دعوته للعالم كي يحيا وللإنسانية كي تخلص وأن تتحد بالكنيسة. نفهم هذا المعنى عندما نرجع لتعليق وشرح المسيحيين الأوائل لمثل كرم الآب.

كانت صورة **الكرم** في العهد القديم عبارة عن مرشد ودليل لشعب إسرائيل: فنقرأ في أرميا "*وإني غرستك أفضل كرمة كلها من زرع أصيل فكيف تحولت لي إلى نبات بري وإلى كرمة هجينة؟*" (أر 2: 21)، وكذلك (زك 15: 1-6، مز 80: 9-18)، وبصفة خاصة في كتاب هوشع "*إن إسرائيل كرمة وافرة يثمر ثمراً لنفسه. وعلى حسب كثرة ثمره كثر المذابح وعلى حسب حسن أرضه حسن الأنصاب.*" (هو10: 1)، وكذلك في كتاب أشعياء إذ نجده في نشيد الكرم يقول: "*لأنشدن لحبيبي نشيد محبوبي لكرمه. كان لحبيبي كرم في رابية خصيبة. وقد قلبه وحصاه وغرس فيه أفضل كرمه وبنى برجا في وسطه وحفر فيه معصرة وانتظر أن يثمر عنبا فأثمر حصرما برياً. فالآن يا سكان أورشليم ويا رجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. أي شيء يصنع للكرم وأنا لم أصنعه لكرمي؟ فما بالي انتظرت أن يثمر عنباً فأثمر حصرماً برياً؟ فالآن لأعلمنكم ما أصنع بكرمي. أزيل سياجه فيصير مرعى وأهدم جداره فيصير مداساً*" (أش 5: 1- 5).

ونجد جميع الشراح والمفسرين الذين يريدون أن يشرحوا، حب الله لشعبه يستخدمون هذه النصوص، بل أن يسوع ذاته في تعاليمه استخدم مثل الكرامين القتلة (مت 21: 33- 46).

لكننا نجد في إنجيل القديس يوحنا المعني الأكثر عمقاً للكنيسة، حيث يستخدم **الكرم** كتشبيه فيقول: "*أنا الكرمة الحق وأبي هو الكرام. كل غصن فيَّ لا يثمر يفصله. وكل غصن يثمر يقضبه ليكثر ثمره. أنتم الآن أطهار بفضل الكلام الذي قلته لكم. اثبتوا فيَّ وأنا أثبت فيكم. وكما أن الغصن، إن لم يثبت في الكرمة لا يستطيع أن يثمر من نفسه فكذلك لا تستطيعون أنتم أن تثمروا إن لم تثبتوا في. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. فمن ثبت فيَّ وثبت فيه فذاك الذي يثمر ثمراً كثيراً لأنكم بمعزل عني لا تستطيعون أن تعملوا شيئا.*" (يو 15: 1-5).

وقد شرح آباء الكنيسة هذا بقولهم، في الكنيسة قد دُعي الجميع إلى عائلة الآب، كي يسكنوا في وحدة "**متجانسة**" معه، لأنهم ممجدون، وغير متبعين جانب واحد من الحياة. وعناية الله الآب ترافقهم على مدى مسيرة حياتهم كلها، ويشبّه ذلك بعمل الكرّام الماهر الذي يعتني بكرمه طوال فترة النمو حتى يثمر ثمراً جيداً، كذلك يكون العمل الإلهي- البشري.

جسد المسيح السري

قلنا أن المسيح ذاته هو الكرمة الحقيقة، والمسيحيين هم أغصانها وهذا ما يذكره القديس يوحنا:"*أنا الكرمة وأنتم الأغصان فمن ثبت فيَّ وثبت فيه فذاك يثمر ثمراً كثيراً لأنكم، بمعزل عنيَّ لا تستطيعون أن تعملوا شيئاً.*" (يو 15: 5)، وكذلك يوضح لنا في آياته الأولى أن: الوصول لله الآب يتم بواسطة المسيح فقط، فهو الباب الوحيد المهيّأ لنا كما يذكر يوحنا الإنجيلي بقوله: "*الحق الحق أقول لكم: من لا يدخل حظيرة الخراف من الباب بل يتسلق إليها من مكان آخر فهو لص وسارق*" (يو10: 1)، الوسيط الوحيد بين الله والبشر، "*لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو إنسان أي المسيح يسوع*" (1تيمو 2: 5). ولقد كان المسيحيون متحدون بعمق معه، ولهذا نجد القديس بولس يدعو الكنيسة، "*جسد المسيح*" (1قور12: 12-27، كو1: 18). يقول "**جسد سري**"، وبوعي شديد يشرح ويوضح وحدة الاتحاد السرية. ولهذا قد عرّفَ آباء الكنيسة، الكنيسة بـ"**الجسد الروحي**"، ومن بداية العصور الوسطى بدأ استخدام تعبير "**الكنيسة- جسد سري**". ولتعميق معنى وغنى هذه الكلمة قد كان الاهتمام الشديد بالرسالة البابوية، "**الجسد السري**" للبابا بيوس الثاني عشر والصادرة في (29 يناير 1943)، ومن خلال الشرح، والتعليق الذي قدّمه اللاهوتيين، يمكننا باختصار أن نذكر النقاط الأساسية لهذا التعليم الخاص بهذه الرسالة:

1. **الوحدة والتعددية لعطايا الروح**

نريد أولاً أن نظهر التنوع والتعددية، في الدعوات المختلفة للأفراد. فكل إنسان هو فريد من نوعه، ولا يتكرر والاختلافات بين الأشخاص غير محدودة. لكن من الممكن أن نصادف في الحياة، كثير من الأشخاص المتشابهين في بعض النقاط والتصرفات والمبادئ الحياتية المشتركة كالموسيقيين مع الموسيقيين والرياضيين مع الرياضيين... الخ أما الآخرين فيصبحوا مستبعدين [المقصود باستبعاد الأشخاص ليس النفور، ولكن استبعادهم من مجال العمل الخاص بكل فئة]. **أمّا في الجسد فنجد العكس تماماً، لأن كل عضو له عمله الخاص، وليس كنظيره من الأعضاء. فكذلك الكنيسة التي هي جسد المسيح، ونؤكد على أن للجميع مكاناً، من خلال دعوتهم الخاصة لخدمة الآخرين.**

2. **الوحدة تتحقق من خلال الاتحاد بالمسيح**

إن هذه الوحدة المتجانسة لأشخاص مختلفين تأتي من خلال وحدتهم مع المسيح الذي لا يتوقف حضوره فقط على المستوى الخارجي لأنه معنا، وحيٌّ فينا، والخلاصة تكمن في أن الشخص الذي يسعى كي يتحد بالمسيح، عليه أن يكون أكثر اتحاداً بالآخرين.

3. الاتحاد بالمسيح يشركنا في وحدة الثالوث

إذا كنا نحن متحدين بالمسيح، نصبح مشتركين بطريقة أسرارية في وحدة الأقانيم الثلاثة الإلهية، في حياة الثالوث القدوس.

4. الاتحاد بالمسيح تقدّم نحو الكمال

إن التمثّل بالمسيح والاتحاد به يصحبهما تقدم تصاعدي نحو الكمال، فلماذا نجد الاتحاد بين الناس غير كامل حتى يومنا هذا؟ تطور العالم اليوم، يقوده إلى عولمة الإنسان، ودعوة الكنيسة لا تقوم فقط على التنبيه لذلك، إنما على تقديسها أيضاً. هذا هو حق حالي، وراهن بصفة خاصة في وقتنا وزماننا الحاضر.

الرُّوح القُدُس، نَفْسُ الكنيسة

يتضمن قانون الإيمان الذي نتلوه فيما يخص الكنيسة موضوعين للإيمان هما: "**نؤمن بالروح القدس**.....، **وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية**،.....". كان المسيح أثناء حياته الأرضية موحداً التلاميذ بقوة حضوره الشخصي. أما بعد موته عندما أخذ الرسل يعلنون شهادتهم عن قيامتهِ، فمن المتوقع أن يكونوا قد سمعوا هذا السؤال: " **أين هو الآن؟**" حتى وإن لم يكونوا قد سمعوه، لابد وأن ردهم كان: "**أنه حيُ فينا**". صعد إلى السموات، أرسل إليهم الروح القدس "**معطي الحياة**"، ومجدد الأجيال في العالم. لهذا السبب قد أطلق اللاهوتيين، على الروح القدس اسم "**روح كنيسة المسيح**". القديس **ارينيوس** يذكر تشابه الخلق للإنسان الأول: «**وفي الحقيقة يرى، أنه مثلما الكنيسة تستقبل النعم والعطايا الإلهية بطريقة مماثلة عندما نفخ الله روحه في الإنسان ليمنحه الحياة ولكل أعضاءه. ... وهذا يعني أينما تكون الكنيسة، هناك يكون روح الله، و أينما يكون روح الله، هناك توجد الكنيسة وكل النعم**». الأعضاء المختلفة المتعددة في الجسد تكوّن إنساناً واحداً، لأن لديها روح واحد. كذلك أيضاً اختلاف وتعدد الأشخاص يؤسسون كنيسة واحدة، لأنهم مدعمين بالروح الواحد.

تسير هذه الخاتمة مع الفكرة المثلثة لتكوين للإنسان، التي قد عُلمت من **ارينيوس**. يقول أن الإنسان الروحي، يتكون من ثلاثة أجزاء: **الجسد، النفس والروح القدس**، الذي يمكننا أن نشبهه ب"**روح روحنا**". الأجساد الإنسانية مختلفة، والنفس الإنسانية أيضاً مختلفة، أما الروح القدس فهو واحد فقط، لذلك يكون هو الروح المشترك بين الجميع الذين يستطيعون أن يفكروا فيه بطريقة روحية.

يموت الإنسان عندما تفارق الروح الجسد، وبنفس الطريقة تصبح الكنيسة بدون حياة إذا فارقها الروح القدس، وقد كتب القديس **يوحنا ذهبي الفم**: «**إن لم يكن الروح في وسط الكنيسة فلا وجود للكنيسة، والعكس، وجود الكنيسة يكون علامة واضحة لحضور الروح القدس**». وهنا نذكر فكرة هي «**من الممكن أن يكون الحب المتبادل لتوحيد جميع البشر غير كافٍ**» وقد ركّز عليها كثيراً اللاهوتي العلماني الروسي الكبير

ألكيس هومياكوف[3] **Aleksej Chomjakov (توفي في عام 1860)**. وهو مقتنع تماماً، بأن الحب الحقيقي لا يوجد بدون الروح: «**تكون الكنيسة مكاناً للروح الموحى به للحب المتبادل بين المسيحيين**». ويمكننا أن نصر على الاعتراض، مؤكّدين على المبدأ الكافي للوحدة بين البشر، يكون الاعتراف بنفس الحقيقة. ويضيف **هومياكوف** الحقيقة الروحية، الإلهية، لا يتم الوصول إليها بدون المحبة، التي هي الرمز الأساسي للروح. أختتم هذا برأي اللاهوتي الروماني **أندريه سكريما**[4]**Andrè Scrima** الذي يقول: «**بدون الروح، تكون الكنيسة مؤسسة أدبية، أخلاقية هائلة، والأشد خطورة من ذلك، بدون الروح لا يمكن أن نعطي سبباً لوجودها**».

---

[3] **أليكس هومياكوف Aleksej Chomjakov**، مفكر ولاهوتي علماني روسي، له مؤلفات لاهوتية عديدة فيما يتعلق بموضوع الكنيسة، ولد في عام 1804، ومات في 1860.

[4] **أندريه سكريما Andrè Scrima** ولد في شمال رومانيا في عام 1925، في أسرة عريقة، وتوفي والده وعمره 15 عاماً بعدها انتقل مع والدته ليعيش ويدرس في جامعة العاصمة بوخارست. وأثناء دراسته تعرف على كاهن روسي وكان بمثابة مرشده الروحي، وبعد نهاية دراسته الجامعية قرر أن يدخل الحياة الرهبانية، وأعلن نذروه الرهبانية في عام 1956، وبعدها قام بتدريس اللاهوت في نفس الجامعة التي درس بها. بعد ذلك قام بعدة زيارات لبعض البلاد المختلفة ليتعرف على كيفية الحياة الرهبانية في هذه البلاد، زار الهند ولبنان. شارك في أعمال المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بصفته أرثوذكسياً. توفى في بوخارست عام 2000.

الفصل الثاني
التجاوب مع دعوة الله

الإيمان الحي

إن الذين يتجاوبون مع دعوة الله لهم، يُدعَون "**مؤمنون**"، أي هم الذين لديهم الإيمان. في الكتاب المقدس يمثل الإيمان مركز الحياة الدينية، وقد كان تجاوب الإنسان مع عمل الله الخلاصي الذي حققه في التاريخ دائماً مصحوباً بالإيمان، مثال ذلك **إبراهيم** الذي قدّمه القديس بولس على أنه أبٌ لجميع المؤمنين" *وقد تلقى سمة الختان خاتماً للبر الذي يأتي من الإيمان وهو أغلف، فأصبح أباً لجميع المؤمنين الذين في القلف، لكي ينسب إليهم البر"* (روم4: 11). كما يوضح لنا الكتاب المقدس الرسالة الأساسية لمن عاشوا وماتوا في الإيمان في العهد القديم إذ يذكرهم ويستشهد بهم في الرسالة إلى العبرانيين الفصل الحادي عشر. وفي العهد الجديد تلاميذ المسيح: "*وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم*" (أع2: 44)، ويذكر القديس بولس نفس المضمون: "*فصرتم في ذلك مثالاً لجميع المؤمنين في مقدونية وآخائية*"(1تس1: 7).

تظهر اتجاهات السلوك الإيماني تحت العديد من المظاهر فبالنسبة للكاثوليك يعني الإيمان أول كل **شيء المضمون الكامل للمجموعة الكلية للحقيقة الملهمة**، ويتلخص ذلك في التعليم الكنسي. أما بالنسبة للبروتستانت فعلى العكس يبين الإيمان **فعل الثقة الشخصية في المسيح** والعزم على اتباعه حيثما يقودنا والمثابرة في هذه التبعية تحولها من بحث عن حقيقة غير مرئية وتجعلها حقيقة مرئية. لنرجع هنا إلى ما كتبه القديس كيرلس الأورشليمي عن الإيمان، إذ يقول: «**للإيمان مظهران هما: أولاً أن تكون الثقة كاملة في المسيح، لأن الذي لديه ثقة في شخص ما يقبل ويعمل حسب ما يقوله من كلام وتعاليم فهذا يوحي ويؤسس المحتوى الإيماني. هذا المظهر ينمو من خلال الصدق في الحوار الشخصي مع المسيح. أما المظهر الثاني فهو الاعتراف الإيماني بالحقيقة الكنسية ونجد الصدق في الحوار مع المسيحي في كتابات آباء الكنيسة كتعبيرات مجازية فمثلاً الكنيسة = عروس المسيح، والحوار مع المسيح يمارس بالصلاة**».

عروس المسيح

هذا التشبيه قديم، ويمكن أن نعتبره تكملة لما سبق. فالكنيسة هي الجسد السري للمسيح، لأنها تصبح ظاهرة أكثر في العلاقة الشخصية مع المسيح. ففي العهد القديم نجد الفرح والسرور الزوجي (نشيد الأناشيد، 2 كور11: 1-3، أفس 5: 21-32، رؤ 9: 16) مما يوضح لنا أن علاقة الله مع شعبه هي علاقة حب، حنان، شفقة وغفران. أما العهد الجديد فنجده يربط هذه العلاقة بين المسيح والكنيسة، ويقدم القديس **يوحنا ذهبي الفم** الشرح المجازي الرمزي ويكتب بواقعية عن المظاهر المختلفة للعروس والكنيسة، مثل جمالها، لباسها إلى آخره.... وقد كتب أيضاً القديس **غريغريوس النيصي**[5] واحدة من أغنى وأجمل التعبيرات المجازية في هذا المجال، في

[5] **القديس غريغريوس النيصي**، ولد في + 394 وهو أخو القديس باسيليوس وقد كتب العديد والعديد من الشروحات الخاصة بالكتاب المقدس والعظات الخاصة والتعليقات على حياة الإيمان المسيحية، بصفة خاصة فيما يتعلق بالأسرار، وركّز كثيراً على أهمية سر العماد. شارك في المجمع المسكوني بالقسطنطينية في عام 381.

الطقس السرياني طقوس الخطوبة والزواج الخاصة نجد العديد من القصائد الشعرية التي تُظهر وتركّز قبل كل شيء على حتمية الحب المتبادل بين الطرفين. ويقول القديس غريغوريوس النيصي: "**أن جمال العروس المرئي على الأرض يوحي بسمو ونبل العريس السماوي**".

المظاهر الكنسية للصلاة

إن الثقة الشخصية تدَّعم الحوار المتبادل بين الأشخاص، والصلاة المسيحية ليست مناجاة الله على المستوى الذهني فقط وهنا يمكننا أن نذكر التعريف الفلسفي القائل: "**إنها حوار حقيقي مع الله**"، ويمكن أن يتحقق حتى في العزلة، لذلك فإن الكتّاب الروحيين يميزون بين الصلاة الشخصية والصلاة الجماعية، ويتناقشون فيما بينهم ليعرفوا أيّاً منهما يمكن اعتباره شخصية أكثر.

ولابد أن نذكر أن كل صلاة هي في عمقها صلاة جماعية: لأنها من خلال المسيح وفي الكنيسة، وهنا يمكن أن نعرّف الكنيسة على أنها جماعة المصلين معاً حتى وإن كان أسلوب الصلاة غير موحد بينهم. ويمكن لأحد ما أن يأخذ انطباعاً سلبياً خاصاً من هذا، لأنه على سبيل المثال في **لبنان** نجد الكاثوليك منتمين لعدة مجموعات محلية مثل: لاتين، ملكيين، مارونيت، أرمن.... إلخ، لكنهم يجيبون: هذا الاختلاف نشأ لأننا نصلي بطقوس ووسائل مختلفة، لكنا نصلي معاً وبنفس الروح وبذا نظل كنيسة واحدة، وربما لا يساعد هذا على الشعور بوحدة كنسية مع الآخرين الذين يصلون بأسلوب مختلف، لكن الصلاة واحدة.

هذا الرمز لوحدة الكنيسة في الصلاة سواء الصلاة العلنية الطقسية في الكنيسة أو الفردية توحّد المؤمنين، واستخدام نصوص التقليد عبر الأجيال يوحّد قلوبنا مع الذين كانوا يصلون في الماضي. ويكتب أحد المؤمنين الروس **يوحنا دي كرونستادات**[6] **Kronstadt di Giovanni**: «**الحس القوي المتماسك في الكنيسة، مثل حس مريم أم الله المخترق قلبها ونجده في توجهها لبيت زكريا لزيارة نسيبتها اليصابات، بعد سلام الملاك لها. كما نجده في إحساس موسي أثناء حواره مع الله، وإحساس زكريا أبو النذير وإحساس حنة أم صموئيل وإحساس الفتية الثلاثة، ونجد أيضاً العديد مثل هذا في العهد الجديد حتى يومنا هذا في كنيسة الله**».

الاعتراف الجماعي بحقيقة الإيمان

لقد كان **للإيمان** دوراً حاسماً في قصة الشعب العبراني، لأننا نجد العديد من العناصر التي تلتقي معاً لتشكل وطناً واحداً مثل القرابة الدموية، قرابة السكن، قرابة اللغة، إلى آخره... لكن الإسرائيليين كان لهم وطن واحد خاص بهم، وعن طريق إيمانهم الجماعي المشترك بالله: **إله إبراهيم، واسحق، ويعقوب** كانوا مصونين ومحروسين بدون مساس ولا أذى فقد أوحى الله إليهم وكشف عن نفسه لهم، أما من ناحية المسيحيين، فقد بدوا من النهاية وشعروا بأنهم شعب الله الجديد من خلال إيمانهم بالمسيح يسوع (أفس 4: 4- 6). لقد شعر

---

[6] **يوحنا دي كرونستادات Giovanni di Kronstadt** ، كاهن روسي ولد في عام 1829، وعمل راعياً لإحدى رعايا الكنيسة الروسية وكان مشهوداً له بالتقوى والورع، أيضاً كانت لديه موهبة خاصة في الوعظ.. له كتابات عديدة كلها تحث المؤمنين على أهمية العلاقة مع الله، كذلك بعض من كتاباته توجه للسلطة الكنسية (الأساقفة – البطاركة) اشترك في مجمع من أهم المجامع الخاصة بالكنيسة الروسية بدعوة من بطريرك موسكو أليكس الثاني، توفي في عام 1908.

المؤمنون أنهم مدعوون من الله كي يقدموا للعالم شهادة بإيمانهم هذا الذي قد تسلموه من الرسل، وكانت وحدتهم واعترافهم نابعة من صفائهم ونقاوتهم. لقد كان المسيحيون الأوائل في اليونان أكثر عقلانية من غيرهم، [يرجع هذا لتأثير الأفكار الفلسفية في محيطهم] قلب ملئ بالإيمان، وكان إيمانهم إيماناً فردياً جماعياً.

نحن نردد الاعتراف بقانون الإيماني النيقي حتى يومنا في الاحتفال بالقداس [أي مجمع نيقية الذي عقد في عام 325، والذي فيه نوقشت بدعة أريوس، ومجمع قسطنطينية الذي عقد في عام 381 ووضع فيه النص النهائي لقانون الإيمان الذي كان قد بدأ في مجمع نيقية المذكور]. فقانون الإيماني هو ثمرة الشرح العقائدي للمجامع الكنسية المسكونية، والتي نسميها نحن عقيدة الكنيسة مستخدمين ألفاظاً بشرية في التعبير عنها أثناء الحوارات والأحاديث ومجسدين إياها في كلمة (**نؤمن**). وهنا يمكن ذكر مثل قديم: فمنذ نشأة الإيمان المسيحي تعّلم الكنيسة، أن المسيح إنسان ابن مريم العذراء، وفي الوقت ذاته إله ابن الله العليَّ. ومجمع خلقدونية يعرف تماماً هذا الإيمان. أن في المسيح **طبيعتين** هما: طبيعة **إلهية**، وأخرى **بشرية**، لكن المسيح واحد فقط، ولهذا استخدم اللفظ (**أقنوم**). لذا نجد في المسيح، **شخصية** واحدة **وطبيعتين**، لهذا السبب نستطيع أن نقول إن عقائد الإيمان وركائزه لا تتغير بمرور الزمن لكنها ثابتة.

نجد في الوقت المعاصر، نهضة في شرح وتقديم هذه العقائد بأساليب وطرق مختلفة تساعد على فهمها بلغة العصر، وكل هذا من خلال التقدم الفكري للاهوت، [المقصود هنا تقدم الفكر اللاهوتي وتنوعه داخل الكنيسة الكاثوليكية، كي يواكب الزمن المعاصر]. فبأي أسلوب نستطيع أن نقبل ما تم قبوله سابقاً؟. أذكر مثالاً للتوضيح، إن تعريف مجمع خلقدونية لم يتم قبوله من الجميع، لأن النساطرة يقللون من شأن الطبيعة البشرية في شخصية يسوع المسيح، ويعتبرون أن طبيعة المسيح الإلهية تتخذ الطبيعة البشرية كهيكل لتسكن فيه فقط. نجد هذه المشكلة موجودة أيضاً لدى الكنائس التي تؤمن بوجود طبيعة واحدة في يسوع المسيح، وهم من يطلق عليهم لقب الكنائس **المونوفوزيّة**.

أما في الوقت المعاصر فقد صدرت وثيقة مشتركة من جميع الكنائس بخصوص هذه المعضلة، أقرت فيها جميع الكنائس المسيحية بأن المسيح هو **إنسان كامل، وإله كامل**، ولم يعد الآن فرق في الإيمان المعاصر لكن المشكلة نشأت في الماضي من عدم الدقة في فهم اللغة المختلفة، وقد أقر الجميع ووقّعوا على هذه الوثيقة[7]. ومع صدور هذه الوثيقة ظهر شيء مدهش، هو أن الاختلاف لم يكن في جوهر الإيمان، لكنه قد كان في طريقة استخدام المصطلحات، وهذا ما قد يحدث في جميع اللغات. وهنا يطرح السؤال ذاته: إلى أي مدى نستطيع قبول هذه التعددية في قانون الإيمان؟ فمثلاً عندما نقابل في العقيدة شيئاً غير مفهوم فإن مَن له القدرة على الشرح يحاول تفسيره بطرق متعددة، ومن خلال وسائل الاتصال المتوافرة بين البشر، تأخذ الكلمة معناها العالمي دون التوقف على حدود اللفظ أو المكان.

أما النوع الآخر من "**التعددية اللاهوتية**" فنستطيع أن نسميه "**تعدد تربوي**"، لأننا عندما نشرح للأطفال موضوعاً ما، نحاول استخدام المصطلحات المفهومة لديهم، حتى يتمكنوا من فهم الموضوع بطريقة أفضل، ولكي نصل بهم إلى ما هو أعمق في الوقت ذاته. وفي هذا المجال التربوي لدينا مثال يساعد على فهم لأهمية هذا العنصر: كان هناك لاهوتي مشهور ولكنه لم يكن يؤمن بالطبيعة الإلهية للمسيح وبرغم إن ذلك كان

[7] وقّع قداسة البابا شنودة الثالث مع قداسة البابا بولس السادس في سنة 1970 وثيقة مشتركة بهذا الشأن (الناشر).

يسبب مشكلة شخصية ضخمة بالنسبة له، إلا أن دفاعه عن هذه المشكلة كان سهلاً وبسيطاً فقد كان يحاول دائماً في شرحه وتعاليمه للآخرين توضيح هذه الطبيعية الإلهية الكامنة في المسيح يسوع. وهذا لا يعني أن هذا الشخص على حق، لأنه اتخذ الأسلوب السلبي في تعاليمه. لأن على كل من يريد أن يتقرب من الإيمان، أن يبحث عن الأسلوب المناسب لشرح هذا التقرب سواء بالنسبة لذاته أو للآخرين، وبصفة خاصة هؤلاء الذين يحتاجون إلى أسلوب شعبي بسيط في شرح العقائد.

لكن يوجد نوع ثالث من "**التعددية اللاهوتية**"، وهو في تعريف المجامع التي صاغت ووضعت العقائد المختلفة تحت إرشاد الروح القدس. وهنا تظهر حقيقة إلهية، يحاول البشر أن يعبروا عنها بلغتهم وعلى حسب احتياجهم الزمني. وهكذا يظهر أيضاً المعني الحقيقي للعناية الإلهية للحفاظ على وديعة الإيمان التي بدأت مع التقليد الرسولي، والتي تحاول الكنيسة شرحها بلغة العصر إذ تقدم الفكر اللاهوتي وتصبغه بأساليب مناسبة وهذا صحيح ولا عيب فيه لأنه لا يمس جوهر الإيمان وهو أيضاً مقبول من الكنيسة ويساعد المؤمنين لكي يتعمقوا في إيمانهم، لأنه ينبع من التقليد وحيوية الأسلوب في عرض العقيدة الكنسية تحت ظل وقيادة الروح القدس لمن يعملون في هذا المجال.

التقليد الكنسي

لقد كان للتقليد دور هام في الحضارة العبرانية القديمة، فكان التعليم يمرُ بالمعلم أولاً ثم التلاميذ الذين يقبلونه ويستخدمونه في شرحهم، وكانوا يقومون بمقارنته حتى يتثنى لهم معرفته إذا كان حقيقياً أو مزيفاً من ناحية التقليد، ويذكر لنا إنجيل القديس متى بعضاً من تقاليد الفريسيين: "*ودنا إلى يسوع بعض الفريسيين والكتبة من أورشليم، فقالوا له: "لمَ يخالف تلاميذك سنة الشيوخ؟ فهم لا يغسلون أيديهم عند تناول الطعام". فأجابهم: "لم تخالفون أنتم وصية الله من أجل سننكم؟ فقد قال الله: "أكرم أباك وأمك" ، و" من لعن أباه أو أمه فليمت موتاً". وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: كل شيء قد أساعدك به حتى جعلته قرباناً، فلن يلزمه أن يكرم أباه. لقد نقضتم كلام الله من أجل سننكم. أيها المراءون، أحسن أشعيا في نبوءته عنكم إذ قال: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فبعيد مني. إنهم بالباطل يعبدونني فليس ما يعملون من المذاهب سوى أحكام بشرية*". (مت 15: 1-9). يوضح المقطع السابق مدى التمسك الحرفي المتصلب بالتقليد في معيشة الفريسيين وتطبيقهم للشريعة الإلهية في كل ما يعملون ويعيشون.

ونستشهد نحن بما يذكره لنا القديس **ارينوس دي ليون**، كلاهوتي عن التقليد، وذلك من خلال المناخ المسيحي الذي كان يعيش فيه، ويكتب ذلك موضحاً رأيه ضد الغنوسيين الذين كانوا يتابعون ممارس للتقليد سراً. بعد ذلك تمت المحاولات لتأسيس التقليد المعروف لدينا أي التقليد الحقيقي الذي يبدأ من الرسل متضمناً [الأساقفة الاثنى عشر لروما] وقد تم هذا كله تحت قيادة الروح القدس. نذكر أيضاً ما يذكره لنا **فيشينسو دي ليرنز**[8] **Vincenzo di Lèrins** وهو المعروف أكثر بدفاعه عن التقليد (يكتب ذلك في عام 434م)،: إن كمال الإيمان مؤسس وصحيح على عاملين أساسيين هما:

[7] **فيشينسو دي ليرنز Vincenzo di Lèrins** ، لا نعرف أي شيء عنه إلا أنه راهب وقد مات قبل 1450.

1- قوة وسلطة كلمة الله في الكتاب المقدس.

2- تقليد الكنيسة الجامعة العائد إلى المسيحيين الأولين الذين آمنوا به.

يمكننا أيضاً أن نعتبر التقليد حقيقياً من خلال انتشاره وشموليته وعموميته وقدمه ومواقفه من الأحداث التي مرت به. وقد تم قبول هذا المعيار، حتى وإن كان في بعض الأحيان يحمل الازدواجية في معناه أي هذا يعني أنه على التقليد أن يظل ثابتاً أميناً وليس من حقنا القيام بعمل ما يخالف ذلك، ففي وقتنا المعاصر نجدهم يتحدثون عن الاختلاف والفروق والنزاعات بين "**التقليديين**" و "**المحدثين**"، ومن الشيق جداً لنا أن نعرف المناقشات والآراء المفيدة والغير مفيد منها أيضاً. فنجد أحدهم ويدعى **موريس بولنديل** يقول: يجب علينا أن نأخذ المسافة الضرورية بين التقليد والحداثة، خاصة بالنسبة للتقليد القديم الذي لا يتم استخدمه والاستشهاد به الآن، أما الناحية الأخرى فهي الخاصة بالتاريخ حيث ترمي إلى إظهار حقيقة الوحي الإلهي عبر التاريخ، لأن التقليد الحقيقي عبارة عن الحياة ذاتها التي توحّد ذاكرة الماضي مع عناصر تطور حقيقي لها، لأنه كما تنمو البذرة في التربة حسب بنيتها وطبيعتها، فهي تحتاج إلى الروح الإلهي لأن البذرة تزرع على حسب الروح الإنسانية.

المسيح نفسه لم يكتب شيئاً على الإطلاق إلا أنه خط على الرمل، لقد كانت تعاليمه مباشرة في الهواء الطلق، ومع ذلك فإنها ظلت حية حتى يومنا هذا وإن كانت قد وُجهت إلى أرواح وأنفس متزعزعة إلا أن الروح الإلهي يضمن هوية وغاية الإيمان لأن التقليد الحقيقي هو "**تقليد روحي**".

الكتاب المقدس والتقليد

لقد كان موضوع النقاش مع الكنيسة البروتستانتية عن قيمة التقليد الكنسي وأهميته، لذلك وضع المجمع **التريدنتيني** هذا التعريف: ***إن محتوى تعاليم يسوع نجدها في الكتاب المقدس، وفي التقليد الذي لم يكتب، وحفظت في الكنيسة بعناية الروح القدس لها، وكلاهما له نفس القيمة من التقدير والاحترام.*** فكان نتيجة ذلك الحكم بالاختلاف القائم بين الكاثوليك والبروتستانت في هذه النقاط: فالبروتستانت يضعون **الكتاب المقدس** كسلطة ومصدر وحيد لهم، أما الكاثوليك فلديهم مصدرين هما: **الكتاب المقدس والتقليد**. وهناك أسلوب لشرح هذه المعضلة بطريقة سهلة وبسيطة وهو أن مفسري الكتاب المقدس ودارسيه من البروتستانت وبصفة خاصة المعاصرين منهم يعون تمام الوعي والمعرفة أنه بعد موت يسوع، كان هناك تقليد شفهي فقط ومنه وُلدَت نصوص الكتاب المقدس.

ولا يفضل الكاثوليك المعاصرون الحديث عن "**مصدرين**" في الوحي لذلك نجد أحد الموضوعات في كتاب «**التعليم المسيحي الهولندي**» مصاغه في شكل سؤالين وإجابتين هما:

1- ما هي عناصر الوحي في المسيحية؟

الرد: التقليد الكنسي.

2- ما هي أهم الوثائق المكتوبة عن هذا التقليد؟

الرد: كتب الكتاب المقدس.

الإيمان والتقليد حسب المجمع الفاتيكاني الثاني

طُرحت للنقاش في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني **في دستور الإيمان** موضوعات وقضايا جديدة بالنسبة للكاثوليك، وبصفة خاصة ما دار منها حول كلمة الله الموحى بها. ، نلخص ما جاء فيها في أربعة نقاط رئيسية:

1. ما هي العلاقة بين الكتاب المقدس والتقليد، من وجهة نظر التطور التاريخي؟ لأن أولى عظات وتعاليم يسوع قبل صلبهِ كانت شفهية، والكتاب المقدس قد تكوَّن عن طريق الوثائق المكتوبة التي اعتمدت من الكنيسة تحت قيادة، الروح القدس وعمله على أنها شهادات حقيقية لتقليد الرسل.
2. إن التقليد الكنسي متماشٍ مع تعليم الرسل وفي الوقت ذاته حيوي ومتطور، وهذا التطور حقيقي، وإذا أمعنا النظر في دراستنا وتأملنا للوثائق الأولى نجد بها الخبرة الروحية التي يشهد بها من هم كانوا خلفاء للرسل.
3. ما هي العلاقة بين الكتاب المقدس والتقليد بالنسبة لنا نحن اليوم؟ إنهما متحدان، متلازمان، ومقتربان في التفسير لكل منهما.
4. نتيجة هذا تعترف الكنيسة بحقيقة كلٍ من الكتاب المقدس والتقليد الكنسي، وتؤكد على أهمية استخدامهما في الحياة الروحية التي قد أوكلت إلى الأساقفة، والمؤمنين، ويكون هذا عبر الخبرة الحية المعبرة حقيقة عن حضور الروح القدس الفعّال في الكنيسة.

تعددية التقاليد

هل يمكن أن نتحدث عن "**تقاليد مختلفة**" في الكنيسة؟ نعرف أنه توجد في الكنيسة العديد من التقاليد المختلفة مثل: التعددية في الطقوس الليتورجية، التعددية في الجماعات الرهبانية، التعددية في طرق العبادة والأماكن المقدسة...الخ، هذه التعددية تظهر غنى خبرة الحياة الدينية، ولنحكم على تقليد بأنه حقيقي يجب أن نتفحصه لنعرف إذا ما كان يتفق ويتجانس مع التقليد الأساسي للكنيسة الجامعة.

لكنا نجد أنفسنا أمام سؤال أكثر أهمية: كيف يمكننا أن نفكر في التقاليد غير المسيحية؟ وهذه المشكلة قائمة في العمل الإرسالي اليوم، حيث يتحقق التبشير بالمسيحية لجماعات ذات طابع حضاري مختلف؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأنه توجد موضوعات أساسية لا يمكن الاختلاف حولها وهي: **العقيدة المسيحية العالمية والناحية الرعوية**. يستطيع أن ينتمي للمسيحية مَن يعترف بحقيقة الإيمان المسيحي ويعيشه، وليس مَن يريد الاحتفاظ بما هو مقتنع به برغم مناقضته للإيمان المسيحي وخير مثال على ذلك تعدّد الزوجات. وعلى ذلك نقدر تماماً الروح العالمية التي تتماشى مع هذا الإيمان كتوافر العديد من طرق الصلاة حسب الثقافات والشعوب. وخير مثل على هذا من التاريخ وتمثّل في تحوّل احتفال سكان الإمبراطورية الرومانية القديمة بعيد **الشمس** إلى **عيد الميلاد**، أجمل الأعياد المسيحية. إن للتقليد الكنسي القدرة على أن يعطي المعنى الحقيقي لكل ما هو نبيل ومؤسس على التقاليد الإنسانية.

الفصل الثالث

قداسة الكنيسة

قداسة وجودية

عندما نردد قانون الإيمان نعترف ونقول: "**نؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية**"، ومع ذلك نسمع الكثير من المعارضة ويُوجّه النقد المباشر ضد أفراد هذه الكنيسة ورؤسائها والمسئولين فيها. يحاول المسيحيون دائماً توضيح هذا الالتباس، فحتى إن وُجدت في الكنيسة بعض الظواهر السلبية فهي بسيطة نسبياً إذا ما قورنت بحجم وتاريخ وإنجازات الكنيسة منذ نشأتها... وللأسف لا تصل ردودهم إقناع الجميع. لذا يتوجب علينا أن ندخل إلى عمق المشكلة لتوضيح المعاني المختلفة لما تعنيه الكلمة "**قداسة**".

ففي الأديان القديمة نجدهم يظهرون أهمية الأماكن المقدسة لأنها تشير وتعبّر عن الحضور الإلهي بالنسبة لهم، من خلال ما يشيدوه لها من مباني ضخمة، ولهذا السبب كانت هذه الأماكن بعيدة عن كل ما هو قابل للفناء... لكن موسى عندما أراد الاقتراب من العليقة سمع صوتاً يقول له: "*لا تدن إلى هنا. اخلع نعليك من رجليك، فإن المكان الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة. أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. فستر موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله*" (خر 3/ 5- 6). كانت الشعوب الوثنية أيضاً تحترم وتقدّر الأماكن المقدسة، وبصفة خاصة الأعمدة، بينما كان هذا محرماً من قبل الإسرائيليين، لأن الله (**يهوه**) قد أعلن لهم في كتاب أشعياء النبي، أنه الوحيد الذي له هذه الخاصية (**قدوس**) "*قدوس قدوس، رب القوات، الأرض كلها مملوءة من مجده*" (أش 6: 3).

يمكن أن ندعو أي مكان إذا كان يُستخدم لتمجيد الله بحرية وباختيار وإذا كان يعبّر أيضاً عن حضور الله واقترابه من الأشخاص. ولدينا الأمثلة بأنه مقدس على ذلك مثل: **جبل سيناء وهيكل أورشليم** الذي يذكره لنا المزمور، "*ما أحب مساكنك يارب القوات*" (مز 83: 2). لكن هذه الأشياء كانت عبارة عن أشياء وقتية فقط. لقد شرح المسيح وأعلن بكلماته التي كانت بمثابة عثرة لليهود إن الهيكل القديم هو عبارة عن رمز لحقيقة جديدة: "*أجابهم يسوع: انقضوا هذا الهيكل أُقمْهُ في ثلاثة أيام! فقال اليهود: "بُنى هذا الهيكل في ستٍّ وأربعين سنة، وأنت تقيمه في ثلاثة أيام؟" أما هو فكان يعني هيكل جسده*" (يو 2: 19- 21)، وبالمقارنة مع ما بُشرت به مريم العذراء عن ميلاد المسيح نجده يقول: "*إن الروح القدس سيحل عليكِ وقدرة العليَّ تظللكِ، لذلك يكون المولود قدوساً وابن الله يُدعى*" (لو 1: 35).

لماذا تسمى الكنيسة إذاً بجسد المسيح السري؟ لأنها تعيش الحياة بقوة الروح القدس لذلك علينا أن ندعوها مقدسة، لأن القديس بولس يذكر ذلك إذ يكتب إلى أهل كورنتوس:"*نحن عاملون معاً في عمل الله، وأنتم حقل اللهِ وبنيان الله. فإني على قدر ما أوتيت من نعمة الله، وضعت الأساس، شأن الباني الحاذق، ولكن آخرٌ يبني عليه. فلينظر كل واحد كيف يبني عليه. أما الأساس، فما من أحد يستطيع أن يضع غير الأساس الذي وضع أي يسوع المسيح*" (كور3: 9- 11).

مكان للتقديس

تُعتبر مبانِ الكنائس أماكن مقدسة لأننا نسعى فيها إلى التلاقي مع الله، وهي أيضاً وسيلة كي نكون مقدسين. هذا ينطبق أيضاً على الهيكل الروحي الذي هو الكنيسة، لأن الكنيسة تنقل كلمة الله ومن خلالها تُقام وتوزع الأسرار كوسيلة للتقديس الأبدي. وهي نفسها تستمر معنا امتداداً لما قد عمله المسيح الذي لا يستطيع أحد أن يذهب أو يدخل إلى الآب بدونه، "*أنا الباب فمن دخل مني يخلص يدخل ويخرج ويجد مرعى*" (يو10: 9). وبذلك نستطيع أن نقول بحق "**لا يوجد خلاص خارج الكنيسة**" [منذ فترة وجيزة كان هناك نقاش حول هذه الفكرة، وكانت هناك العديد من الآراء المؤيدة والمعارضة ولم يتم التوصل لرأي قاطع يقول بتمام الخلاص داخل الكنيسة فقط، أو أن هناك خلاصاً لمن هم خارجها]، لكن لا يستطيع أحد أن يكون مقدساً إلا من خلال يسوع المسيح العامل في الكنيسة. فكيف يمكن أن يتحقق هذا في وقتنا الحاضر خصوصاً ونحن نسعى للوحدة بين الكنائس وإقامة الحوار المسكوني؟ كيف يتم عمل التقديس هذا للإنسانية جمعاء؟ أذكر لكم بعض الفقرات من تاريخ الكنيسة والتي توضح هذه النقطة ومن بين هذه الأمثلة التقليد الذي يأخذ مكانته الأولى، فمن خلاله نعرف أن هناك بعض الأشخاص قد اعتبروا قديسين وبالفعل أُعلنت قداستهم.

هذا المثل من العالم الوثني ففي مدارس الإمبراطورية الرومانية القديمة كانت تُدرس الأخلاق والصفات الحسنة عن طريق استخدام أمثلة الأبطال الذين كانوا يخدمون في الإمبراطورية ويضحون بذواتهم من أجل خير الآخرين. أما بالنسبة للكنيسة المسيحية فقد لقب هؤلاء بالقديسون دوراً عظيماً عبر تاريخ القداسة المسيحية لدرجة أنه نشأت في بعض الأديرة عادة قراءات يومية "**السنكسار**" تتضمن مقتطفات من حياة قديس اليوم على حسب التقويم الطقسي اليومي. وفي هذه القراءات تُذكر بعض من المعجزات التي أجراها ذاك القديس عن طريق الروح القدس الذي كان معيناً ومرافقاً له في حياته، وكثيراً ما نجد بين هؤلاء القديسين من يعترفون دائماً بأنهم ذوو طبيعة بشرية ضعيفة، وأنهم خطأة، إلا أنهم قد نالوا الخلاص والنعمة الإلهية عبر الكنيسة. وفي الحقيقة يمكننا أن نعتبر هذا العمل الإلهي عبارة عن ظهور حي لقداسة الكنيسة بطريقة يومية ويمكننا أن ندعوها هكذا: **هي الخلاص والملجأ الوحيد للخطأة.**

قراءة حياة القديسين

المسيحية حياة لذلك هي مرئية في التاريخ. أول المراجع في الحياة الروحية بالنسبة لنا هي حياة القديس **أنطونيوس الكبير** [أبو الرهبان]، والتي كتبها القديس **أثناسيوس**. وجاءت في حقبة آبائية أولية لذلك توصف على أنها "**قراءات روحية مساعدة**". الكلمة اللاتينية "**legenda**" تعني بالمعنى الحرفي الشيء الذي يجب قراءته، فإذا كان المسيح نور الكمال فالقديسين هم عبارة عن انعكاسه لأن أعين الإنسان ضعيفة لا تستطيع أن تنظر إلى ضوء الشمس الساطع في أعالي السماء.

نجد أيضاً الأشخاص البسطاء يعجبون بل ويعشقون في بعض الأحيان القراءات العامة البسيطة، لأنها تذكر لهم الأمثلة الحية من الواقع الحياتي المعاش مثل نشرة الأخبار. ولا أحد يستطيع أن يرغم آخر على أن يؤمن بما يُقال من أخبار تحمل القليل في مضمونها التاريخي، أو الاكتشافات خارقة الطبيعة لكنها تكتمل بالمعرفة العلمية في اختيارها للطرق والوسائل التاريخية لعرض هذه العناصر التاريخية وقراءتها، فنجد أيضاً العديد من الطرق الجذابة لعرض ما قد سبق من أحداث تاريخية.

توجد قصة بسيطة تحكي لنا طرفة شخص مسيحي كان يعيش حياته بطريقة نضرة غير قابلة للتزييف، وقد وقعت بين يديه إحدى كتابات القديس **يوحنا السلمي**[9]، الذي كان يقرأ حياة قديس آخر يقول، أن الفقراء قد رأوا كنوز الملك ففي الحال يرد ويقول لماذا نحن نحيا في فقرنا هيا لنتقاسم غنى إخوتنا القديسين المشترك والمشتركين نحن معهم وهم معنا في الإيمان الواحد.

الكنيسة والخطأة

كما ذكرنا من قبل، نسمع العديد من هذه الآراء المعارضة في هذا الموضوع، إذا كانت الكنيسة مقدسة فلماذا يوجد العديد من الخطأة بين أعضائها؟ منذ ألفي عام والكنيسة تشرح وتعظ وتدعو إلى التوبة والاعتراف بالخطايا والرجوع عنها، ما النجاح الذي حققته في ذلك؟ حيث يبدو العالم وكأنه أسوأ مما كان، ونلاحظ أن درجة أمانة المسيحيين الأوليين عالية. كما نجد كثير منهم بعد ارتدادهم للإيمان وإعلان توبتهم قد تأثروا بالأوربيين بما فيهم من رذائل وخطايا.

في العصور الوسطى كان هذا الرأي عبارة عن بدعة، حيث كان يعتقد أن جميع أعضاء الكنيسة قديسون، فهم الذين قد تطهروا أمّا من كان يُعرف بينهم بأنه قد ارتكب خطيئة مميتة فإنه كان ينفصل تلقائياً عن جماعة القديسين، لذلك «**إذا ارتكب البابا أو الأسقف أو الواعظ خطيئة مميتة فإنه لا يعد بعد بابا ولا أسقفاً ولا واعظاً**». كانت هناك قاعدة عامة تخص هذا الأمر بالنسبة للسلطة المدنية كي يجنب ويستبعد مَنْ كان خاطئاً من وضعه في منصب كنسي، وهي: مرتكب الخطايا المميتة [**الزنا- القتل- إنكار الإيمان**] ليس من حقه السعي للوصول إلى اعتلاء أي سلطة مدنية، نستطيع أن نطبق هذا المبدأ على مَن هم يريدون القيام باعتلاء منصب ما يخص الجماعة المسيحية، أي داخل الكنيسة.

لقد اعتبر أتباع عقيدة ويكلف "**الويكليفزم**" **wycliffismo**[10] أن ذلك بدعة، واتجه تفكيرهم بأن الإيمان يظل دائماً في ضمائرنا، كما يقول أحد اللاهوتيين الأرثوذكس الرومانيين في هذا: تحتفل الكنيسة بالأسرار علانيةً، أما سر المصالحة فمن المفضل والمحبذ أن يتم الاحتفال به بصفة شخصية جداً لأن التطهير من الخطايا هو فعل خاص بكل واحد، ففي يومنا الحالي نجد شغل الكنيسة الشاغل وعملها الأكبر والأساسي هو إعطاء الحِ ِل من الخطايا لمن يتقدمون بتوبتهم. لأن الشخص الخاطئ عندما يشفى من خطاياه الداخلية نجده أيضاً يستطيع أن يتعامل مع جسد المسيح السري أي مع بقية أعضاء الجماعة الكنيسة وهذا كله بقوة وعمل النعمة الإلهية في حياته.

إن خطايانا لا تمس الله فقط، لكنها تمس كل الإنسانية أيضاً ولقد أعلن المسيح للناس بسلطان إلهي عندما طلب منه التلاميذ كي يعلمهم كيف يصلون قال: "*وأَعفنا ممَّا علينا فقد عفَونا نحنُ عمن لنا عليه*" (مت

---

[8] **يوحنا السلمي**، هو أحد رهبان جبل سيناء، ولد قبل عام 579، لقب بلقب "السلمي" نسبة إلى كتابه (سلم الفردوس)، توفي نحو عام 649.

[9] (**wycliffismo**) كانت تعتبر بدعة وهى ترجع **ويكليف** (**1324– 1384**)، وهو أحد الأشخاص اللذين قادهم فكرهم فيما بعد إلى الانشقاق في الكنيسة الغربية، وبالتحديد في إنجلترا. أولى ويكليف الأفضلية للكتاب المقدس بالنسبة إلى التقليد، وقد رفض علم اللاهوت التقليدي في الكنيسة والتي هي بالنسبة له مجموعة المختارين الذين يرأسهم المسيح، وكذلك رفض التحول الجوهري في الإفخارستيا. راجع، جان كُمبي (الأب)، ***دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة***، دار المشرق، بيروت، 1994، ص 215.

6: 12). وفي الحقيقة كما نجد أن يسوع قد ميّز بين نوعين من الخطأة وهما: من يريدون **البقاء** في خطاياهم وقد أدينوا لفعلهم هذا، أما النوع الثاني فيشمل مَن أتوا إليه لنوال **الغفران** وقد نالوه بحب كبير من المسيح.

كل هذا يمكننا أن نوضحه مع مثل خاص بالصحة الجسدية: لا توجد نظرية أو تعريف قاطع يقول أن هناك نوعين من البشر نوع يتمتع بصحة جيدة والآخر مريض، لأن كل الأشخاص يعيشون متأثرين بعوامل المناخ المحيط بهم حيثما يوجدون الأصحاء منهم هم الذين لديهم القدرة والعزيمة على التأقلم، أما المرضى فهم الذين لديهم هذه الصفات بدرجة أقل. كذلك فالكنيسة هي جسد المسيح الذي بلا عيب لأنها قد نجحت عبر القرون واستطاعت أن تمنح الحِل للكثير من الخطايا لأفرادها حتى تظل مقدسة إلى منتهى الأجيال.

تقديس العالم

عندما نتحدث عن قداسة الأشخاص نفكر أولاً وقبل كل شيء في "**خلاص النفس**"، وهذا أيضاً لا يمنعنا في أن نفكر في خلاص الجسد لأن الجسد أيضاً يحب أن يصير "**ممجداً**" ولأن الإنسان من خلال جسده يشكّل جزءً من العالم كله، حيث خَلقَ الله آدم ووضعه في الفردوس وأوضح له ما عليه أن يقوم به من عمل. تحدث الآباء اليونانيين كثيراً عن طبيعة الإنسان الدنيوية وأوضحوا أن واجب الكنيسة هو تطهير وتنقية وتقديس كل العالم وكل ما يحويه. لقد حَمّلَ الإنسان إلى الخليقةِ كلها النكبة العظمى بخطيئتهِ والآن يجب تحريرها من هذه النكبة والرجوع بها إلى حياة وجمال الفردوس.

وجد تعليم الآباء هذا من استطاعوا أن يعبّروا عنه بصورة قوية عبر فن الأيقونة لاسيما تلك الخاصة بعماد المسيح فقد نزل المخلص في مياه الأردن التي شكلت له مثل القبر- فجوة المياه تشير إلى الموت والفناء. وكما أُلقيَّ يونان النبي في مياه البحر، وأُنقذ بطريقة إعجازية وعاد من الموت إلى الحياة بالرغم من أن هذا يخالف تماماً طبيعة المياه والبحر، كذلك نزول المسيح في المياه أثناء عماده من يوحنا رمز من رموز الموت- لكن هذه الأيقونة توضّح سبباً رئيسياً هاماً وخاصاً وهو أننا نجد المياه تظهر وكأنها صاعدةٌ إلى الأماكن العالية وذلك تعبيراً عن قدرتها على إعطاء الحياة وهذه هي نفس القوة التي نأخذها في سر العماد فمن أين ننال هذا السلطان؟ من العلاقة المستمرة بجسد المسيح المقدس. الآن وعبر القرون نجد الكنيسة جسد المسيح السري تقدس الخليقة كلها من خلال الأسرار والتبريكات الكثيرة، وبهذا تصبح المواد الدنيوية الموجودة بالعالم مشتركة اشتراكاً حياً فيما هو إلهي. المياه في سر العماد، الخبز والخمر في سر الإفخارستيا، الخ... أيضاً أفراد المؤمنون من خلال صلواتهم يشتركون في تقديس العالم. فعلى سبيل المثال: الأمهات اللواتي يقمن بعمل الخبز أو العمال الذين يشتغلون في الحقول نجدهم يبدأون أي عمل يقومون به في يومهم بإشارة الصليب المقدس. إن احتياج عالم اليوم أصبح مُلِحاً في أن يتعلم كيف يستخدم الرموز والأشياء البسيطة حتى يقدّس طبيعته وينقّي ضميره أي لنتقدّس نحن لنكون مقدسين للآخرين.

الأسرار

يسمي القديس **أرينوس** الأسرار الكنسية السبعة، (**العماد، التثبيت، الإفخارستيا، المصالحة، مسحة المرضى، الزواج، والكهنوت**) بعمل الله لأنه من خلال تقديس الأسرار يتقدّس المؤمنون ويُطلق عليها أيضاً

في تعليم الكنيسة اسم "**علامات ووسائط النعمة**". إنها علامات مرئية ولنرى مثلاً **سر العماد فالماء** هو العلامة المرئية التي من خلالها يغسل جسد المعمد، وفي ذات الوقت نؤمن بما هو غير مرئي في ذلك أي بحلول النعمة الإلهية الذي به يتم تطهير النفس أيضاً. كذلك **الخبز في سر الإفخارستيا** الذي يعبر عن عطاء الطبيعة والحياة الأرضية لكنه في الوقت ذاته يعبّر عن خبز الحياة الأبدية بعد أن يتم تقديسه.

إنها علامات مرئية وكل علامة منها تبدو كأنها كلمة فمثلاً نجد أن العلامات الإرشادية والأسهم الموضوعة على الطرق تساعد قائدو السيارات على معرفة الاتجاهات الصحيحة، ليس السيارة ذاتها إنما قائدوها. كذلك نجد ضعف الكلمات البشرية واختلافها عن الكلمات الإلهية، ففي بداية عملية الخلق "الله يقول" فخُلق العالم بجماله وطبيعته وما زال الله يكمّل حواره معنا في التاريخ وكلمته تقود كنيسته "**كلمات في شكل علامات**" في الأسرار التي تعبّر عمّا هو غير مرئي وتصل الطبيعة المرئية بنا في هذه الحالات إلى قمتها وتضعنا في الكمال اللامتناهي للحياة الأبدية (الأخرويات هي ما يخص الحياة بعد الموت). لهذا السبب نجد أن الحياة المسيحية في طبيعتها وأساسها هي حياة أسرارية ويقول **تيفون الركلوسي Teofanie il Recluso**[11] «**من لهم روحانية مغلوطة وغير حقيقية هم الذين يرفضون الأسرار كمادة مثل هؤلاء الذين يريدون أن يعبروا الجهة الأخرى من النهر بدون استخدام الكوبري الذي شيد لهذا الهدف معتمدين على قوتهم وعزيمتهم الشخصية**».

لنعلم أيضاً أن مفعول الأسرار داخل الإنسان ليس سحرياً لأن كل كلمة من الله للإنسان تحتاج إلى جواب وتفاعل حر من الإنسان ذاته وهذا هو عمل النعمة الذي يأتي إلينا من خلال الكنيسة التي تقدم لنا وسائط الخلاص بممارستها للأسرار.

تقديس الزمن

تواصل الكنيسة ممارستها للصلاة داخل عنصر الزمن حتى وإن كانت في طبيعتها متخطية لطبيعة الزمان والمكان لأنها من خلال صلواتها تعبّر عمّا هو خارج العنصر الزمني المحدود. ومثال صحيح على ذلك نجد أن القديسين ينسون عامل الزمن عندما يُصلون ليس فقط على المستوى النفسي بل نتيجةً للسيطرة على الذات فالصلاة هي اشتراك في صلاة الأبدية للمسيح في السماء. لقد صلى المسيح أثناء حياته الأرضية وقدّس كل لحظة والآن هو يصلي مع كنيسته التي تقدّس الزمن من خلال احتفالها بالأعياد المختلفة في قراءاتها وصلواتها التي تنبع من طبيعة حال مؤمنيها وتعبّر عن احتياجاتهم.

شركة القديسين

لقد لقبت الكنيسة بأورشليم السمائية ووصفت على أنها عروس الحمل الطاهرة التي بلا عيب كما يذكرها لنا سفر الرؤيا عندما يقول: "*لنفرح ونبتهج! ولنمجد الله فقد حان عُرسُ الحمل، وعروسُه قد تزينت*". (رؤ 19: 7). وكذلك يقول: "*ورأيت المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله، مهيأةً مثل عروسٍ مزينةٍ لعريسها*". (رؤ 21: 2). الذي غمرها بحبه ونعمهِ السمائية. وبهذا المنطلق نتجاوز حدود الزمن

---

[10] **تيفون الركلوسي** (**Teofanie il Recluso**)، ولد في عام 1815 في مدينة **كيف** باوكرانيا، ثم التحق بالإكليريكية هناك حيث درس الفلسفة واللاهوت، وبعد سيامته الكهنوتية قام بتدريس اللاهوت في الأكاديمية اللاهوتية. في عام 1857 تمت سيامته الأسقفية، وبعد 4 سنوات من ذلك التاريخ قرّر أن يعيش في أحد الأديرة وكان عمره في ذلك الوقت 51 عاماً، وقد عاش متوحداً في الدير لمدة 28 عاماً، وتوفي في عام 1894.

ويكون اتحاد الأحياء والأموات معاً أي شركة القديسين، ففي زمن الإصلاح كانت تتردد في بعض الفترات بعض الآراء المعارضة لإكرام القديسين واعتبرت هذه الأيقونات عبارة عن خيانة عظمى للإنجيل الذي يضعنا في علاقة مباشرة مع الله. ونُظر إلى الكاثوليك في ذاك الوقت على أنهم معقدون للأمور لأنهم يصطنعون وسائل كثيرة في العلاقة مع الله وفي حياة البنوة الإلهية.

أما الرد على هذا الاعتراض فهو سهل وصعب في الوقت ذاته لأننا نحيا البنوة الإلهية بطريقة شخصية من خلال سر الكنيسة لذا فإن جميع المسيحيين يؤمنون ويعرفون أن المسيح قد جاء من قبل الآب وعاد إليه أيضاً، "*لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو إنسان، أي المسيح يسوع*" (1تيم 2: 5)، توجد حقيقة هامة في المسيح وهي أنه المحتضن والعارف للجميع هو أيضاً رأس جسده السري أي الكنيسة التي هي امتداد وجوده في التاريخ، وكابن وحيد لله الآب أراد أن يكون تلاميذه واحداً معه، "*فليكونوا بأجمعهم واحداً: كما أنك فيَّ يا أبتِ وأنا فيك فليكونوا هم أيضاً فينا ليؤمن العالم بأنك أنت أرسلتني*" (يو 17: 21)، إن حب الله يظهر في حياتنا ويتجسد من خلال محبتنا للقريب وكذلك نستطيع أن نكتشف الله المتجسد النازل من عرش سماءه في الأشخاص المتحدين معاً في المسيح وبهذا يصبح أيضاً اللجوء للقديسين لا ليبعدنا عن الله لكن على العكس لأنه الطريق الوحيد الذي يوجهنا للآخر.

لذلك فكل الصلوات في الطقس البيزنطي تنتهي بهذه الخاتمة، «**مع كلية القداسة والدة الإله والملائكة وجميع القديسين (نسألك يارب، أن تمنحنا هذا الشيء..... هنا يذكر الطلب المصلى من أجله)**». وهنا يضيف **أليكس هومياكوف Aleksej Chmjakov** هذا الشرح ويقول: «**لا يمكن لأحد أن يعتمد على صلاته الشخصية لأن الذي يصلي يطلب شفاعة الكنيسة كلها وتصلي معنا الملائكة والرسل والشهداء والبطاركة وأيضاً من هي قبل كل هؤلاء أم سيدنا يسوع المسيح. من هذا الاتحاد المقدس تتألف حياة الكنيسة الحقيقية**».

الفصل الرابع

رؤية الكنيسة في الطقوس

السماء على الأرض

الكنيسة، "**مدعوة للقداسة**". ونستطيع أن نتعرّف على هذه الغايةُ ونعرفها جيداً من خلال ممارستنا للطقوس التي تعبّر بالدرجة الأولى عن هذه الغاية والتي من خلالها يحُتفل "**بتحويل الخبز**"، على نفس مائدة المسيح القائم وبحضور مرئي وفعلي. وقد أعطى أباء الكنيسة اهتماما خاصاً لهذا الموضوع نذكر منهم القديس يوحنا ذهبي الفم على سبيل المثال إذ يقول: "**على هذه الأرض نرى ما هو سماوي ونحن لسنا بأهل لنوال هذه النعم السمائية وهي بالحقيقة يحب أن تكون في صور مختلفة فهنا يكون سيدنا يسوع المسيح في صورة القرابين وبحلول الروح القدس يتمّ الحضور الحقيقي لمن هو جالس عن يمين أبيه والألحان التي تنشد هي بالحقيقة ألحان سمائية**".

أما صورة المسيح المائت فوق الصليب المقدس والماء والدم المتدفقين من قلبه المفتوح بسبب طعنة الحربة والتي من خلالهما ولدت الكنيسة عروسه فتجعلنا نتذكر ما حدث من قبل مع آدم عندما نام فصنع الرب حواء من جنبه هكذا يمكن مقارنة الكنيسة وهي تحتفل بالطقوس بالسماء الجديدة لأن المسيح هو آدم الجديد، وهو الذي أعاد علاقة البشرية مع الآب السماوي. فلذلك تصبح الطقوس علامات ظاهرة مرئية للأسرار السمائية. من المعروف أن أول ما يقوم به الشرقيون في ممارستهم الطقسية هو الاهتمام بإظهار جمال وروعة طقوسهم المختلفة سواء في المباني والأيقونات أو الألحان وهي جميعها تساعد الإنسان كي يشاهد ويتذوق ويحيا "**الرؤيا السمائية على الأرض**".

في هذا الصدد نجد نصاً يحمل المعاني والمزايا المحددة في اعترافات نسطور عن المسيحية للقديس **فلاديمير دي كيف Vladimiro di Kiev**. فمثلاً قبل نوال سر العماد، أراد أن يعرف ويرى كيف تنظر الأديان الأخرى لله، الذي أرسل رسله ليعلنوا رسالته للإنسانية: لقد كانت طقوس العبادة غير كافية في ذاك الوقت للتعبير عن جوهر وكينونة الله بالنسبة للمؤمنين الذين أرادوا أن ينعموا به بطريقة أعمق في حياتهم الإيمانية كما كانت الطقوس المستخدمة في العبادة أيضاً تترك الأشخاص في ازدواجية واختلاف، لكنهم جميعاً استطاعوا أن يضيفوا إلى عباداتهم ما هو مساعد ومفيد ويقولوا: «**لقد ذهبنا إلى اليونانيين كي نعرف ماذا يفعلون في عبادتهم لله لأننا لم نكن نعرف كيف نستطيع أن نحيا السماء على الأرض، لأننا على الأرض لا نستطيع أن نكتشف المشاهد كلية الجمال، لكننا نعرف شيئاً واحداً وهو: أن الله يحيا مع الإنسانية**».

المظاهر الأساسية للطقوس

يمكننا هنا أن نذكر باختصار ما تقوله الكنيسة عن الطقوس:

1- **قوة الوحدة**: "هل يمكن أن نصلي في منزلنا الخاص؟ [يطرح هذا السؤال بصفة خاصة في أيامنا المعاصرة ولأسباب مختلفة]. كتب القديس يوحنا ذهبي الفم في الرد على هذا السؤال: «**في الكنيسة**

يكون أفضل، لأنه في الجماعة المجتمعة للصلاة يوجد التناسق والتناغم وفيها يكون حاضر رباط المحبة بين الجميع». ويمكننا أن نستعين بنص من إنجيل القديس متى في هذا المجال، "*حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم*". (مت18: 20). فموضوع الصلاة الجماعية يخدم كثيراً في الحصول على القوة العليا وأيضاً يأتي معها دور الصلاة الشخصية. ويمكننا أن نرى الجانب الآخر من ذلك، فقد كتب ***نقولا جوجوا***، في كتاب بعنوان «**التأمل في الطقوس الإلهية**»، في الحقيقة أن الطقوس توحّد عقولنا، لأنه عندما يدخل الشخص منا الكنيسة بأفكاره الخاصة ويبدأ في متابعة الألحان والصلوات مع الآخرين فإنه يشعر ويفكر مثلهم ومعهم. يكتب ***يوحنا كرونستادت***، «**القراءات، الألحان، الصلوات، والتضرعات والتشفعات التي نرفعها بأصواتنا وأرواحنا... تصير كصوت الإنسانية جمعاء**».

2- **في الطقوس الكنسية يُعطى المجد للآب والابن والروح القدس**: من المهم جداً أن نضع في اعتبارنا أن الله يعمل لخلاصنا لهذا تعاد وتسترجع أثناء السنة الطقسية حياة يسوع المسيح مع ذكر القديسين و علاماتهم الكبرى التي أجروها بمعونة العناية الإلهية.

3- **تعليم الحقيقة:** إن القراءات الكتابية والنصوص الطقسية الخاصة بالصلاة والألحان والتراتيل تحوي المضمون الخاص بكل التعليم المسيحي. لذلك فمن الطبيعي والواجب علينا أن نقول: «**نؤمن بما نصلي و نصلي مثلما نؤمن**». لهذا السبب تضع الكنيسة في اعتبارها قيمة النصوص التقليدية القديمة وليس هذا بالطبع ضد الإبداع والاعتناء بتقديم نصوص جديدة، لأنها عادة ما تنبثق من نفس روح وإيمان النصوص التقليدية.

4- **البعد التأملي للطقوس:** يطلق الكتَّاب الشرقيين على الطقوس والنصوص الليتورجية اسم "**الأيقونة الحية**"، لأن كل حركة من حركات الطقوس تحوي المعنى الرمزي اللاهوتي الخاص بها. ولقد أصبح هذا المظهر معتاداً بين أُناس اليوم الذين يعيشون في عالم مليء بالخيالات والمشاهد لكنه مع الأسف لا يقرأون هذه المشاهد على حسب محتواها الروحي، ولهذا السبب القوي يتوجب علينا **شرح كل ما نقوم بعمله في الطقوس أثناء الاحتفالات والمناسبات المختلفة التي تعيشها الكنيسة**.

5- **البعد التذكاري:** بعد أن احتفل المسيح بالإفخارسيتا الأولى مع التلاميذ أثناء العشاء الأخير، طلب منهم: "*أصنعوا هذا لذكري*" (لو22: 19). في الإفخارستيا تتذكر الكنيسة ما قدّمه وعمله المسيح من أجل خلاصنا فتقوم بعمله مع المسيح متذكرة الله الحاضر فعلياً في وسطها ومعها. نحن نؤمن بحضور يسوع الفعلي في الإفخارستيا ولقد أراد المهتمون بالطقوس الشرقية أن ينشروا هذا البعد الإفخارستي في كل الاحتفالات الطقسية التي تمارسها الكنسية مما أدى إلى أن قال أحدهم: «**يمكننا القول أنه في كنائسنا في الميلاد يولد المسيح حقيقياً، كما يموت ويقوم أثناء الفصح**».

6- **سر الشكر**: الكلمة اليونانية "**إفخارستيا**" تعني بصفة خاصة "**سر الشكر**". كان الشعب العبراني القديم في صلواته يدعو ويتذكّر عمل الله العظيم معه منطلقاً من العهد مع إبراهيم وجماعته التي كانت بعيدة: لذلك يتذكر المسيحيون الأحداث الكبرى والهامة في حياة سيدنا يسوع المسيح الحاضر في

كنيسته: الميلاد، العماد، الصلب، القيامة، والصعود وأثناء الصلاة الطقسية نشكر على كل ما أنعم الله به علينا من نعم ونطلب ونتضرع إليه بكل ما نحتاج.

7- **الزمن المقدس:** على حسب رأي أفلاطون كان يُحتفل بالأعياد في الأديان القديمة كي يتذكروا عودتهم للزمن الذي قد مضى، وفي هذه الأعياد كانوا لا يذهبون للعمل وكانت الأعياد الوثنية موحدة ومتتابعة على حسب الطبيعة، على سبيل المثال عودة الشمس في شهر يناير من كل عام...الخ أما الأعياد المسيحية فهي تذكّر لعمل الله ولحياة المسيح حتى وإن أخذت الطقوس في اعتبارها نفس النظام الطبيعي في الاحتفال ببعض الأعياد على مدار السنة الطقسية.

8- **البعد الأخروي:** وهو بما يخص الحياة الأبدية حيث تضع الطقوس وتجسّد أمام أعيننا ما نحن في انتظاره: المجيء الثاني لسيدنا يسوع المسيح، لقاء الأحياء والأموات والاتحاد النهائي للسماء بالأرض.

الفصل الخامس

وحدة الكنيسة

كمال الوحدة

في نهاية العصور القديمة وبالتحديد مع أفلاطون اعتبر الله عبارة عن سر عميق خفي لكنه "**واحد**"، وهذا يلخّص كل تقليد الفلاسفة اليونانيين العريق، نجد هؤلاء مقتنعين تمام الاقتناع إنهم غير كاملين وغير موحدين بسبب اختلافاتهم سواء كانت على المستوى الفكري أو غيره. وذلك يجعلنا نتأمل حقاً أن العالم ليس كوناً فسيحاً فحسب كما نراه الآن، لكنه في الوقت ذاته عالم واحد جامع للكل. تخيلوا كم هو جميل هذا العالم بكل ما فيه من مخلوقات وقد اتحدت معاً، وهنا يبرز السؤال: بأي وسيلة تمت هذه الوحدة؟

في المجتمعات الأولية كان عنصر الوحدة للأسرة يعتمد على السلالة والقرابة الدموية التي تجمع بين الأشخاص، أما المجتمعات المدنية فينبع اتحادها من القوانين التي تنظم حياة الأشخاص، وهي تحاول تحقيق رغباتهم التي يتطلعون إليها من خلال ما يعيشون من حضارة وحياة مشتركة.

هناك أيضاً عوامل أخرى تساعد على الاتحاد بين الأشخاص مثل: الاشتراك في العمل الواحد، الاشتراك في الأسباب التي تؤدي إلى السعادة للجميع حتى الرياضة واللعب تعتبر من عوامل الوحدة بين الأشخاص. كل هذه العوامل السابقة المذكورة وغيرها أيضاً تعبّر عن الطبيعة البشرية، وعلى الكنيسة أن ترفع هذه القيم البشرية حتى تجعل منها قيماً روحية من خلال عملها في العالم لأنها بذلك تصيّرها قيماً إلهية، فالكنيسة تستطيع أن تستخدم هذه الوسائل البشرية كعناصر للوحدة الروحية بين الجميع.

الوحدة في جسد ودم المسيح

كانت الإفخارستيا هي العنصر الأساسي للوحدة حتى عصر الرسل ونقرأ ما كتبه القديس بولس: *"أليست كأس البركة التي نباركها مشاركة في دم المسيح؟ أليس الخبز الذي نكسره مشاركة في جسد المسيح؟ فلما كان هناك خبز واحد، فنحن على كثرتنا جسدٌ واحد، لأننا نشترك كلنا في هذا الخبز الواحد"*. (كور 10: 16-17). عندما يُحتفل بالإفخارستيا في كل أنحاء العالم يرجع الجميع إلى حضور المسيح السري المضحي بذاته فلا وجود هناك لتقدمات متعددة بل تقدمة واحدة. مثل نور النهار فالشمس واحدة تطلع في السماء وشعاعها يدخل كل بيت. ومثل آخر على ذلك وهو الأيقونات المتنوعة التي تحمل العديد من صور المسيح المختلفة والكثير من المشاهد التي تعبّر عن المسيح، لكن الناس يصلون أمام الواحدة بعد الأخرى منها وهم يكررون نفس الصلاة لأن المخلص هو واحد. لهذا السبب يقال في صيغة المثل: «**حيثما يُحتفل بالإفخارستيا، هناك توجد الكنيسة المتحدة**» فجوهر الاحتفال بالإفخارستيا هو جسد ودم المسيح، لذلك يمكن القول أنه من خلال ارتباطنا بدم المسيح الواحد نصبح من الأسرة الروحية الواحدة، وبتناولنا من الجسد المقدس نصبح إخوة بالمعني الحقيقي مع بعضنا البعض ومع المسيح ذاته وتصبح مريم العذراء أيضاً أم لنا جميعاً.

وللتعبير عن هذا الإيمان كان لدى المسيحيين القدماء رمزاً يستخدمونه وهو أن تبعث إحدى الكنائس بجزء صغير من القربان المقدس إلى كنيسة أخرى تعبيراً عن الاتحاد والوحدة معها. كما نرى هذا الرمز عندما يضع الكاهن جزءً صغيراً من الخبز المقدس في الكأس قبل التناول.

أما الطقس السرياني فهناك استخدام آخر وهو أن يضع في الكأس جزء من القربان المقدس الذي تم تقديسه في قداس سابق عبارة عن "**خمير مقدس**".

هناك قصة تقول: إن القديس يوحنا الإنجيلي قد استخدم جزءً من القربان المقدس الذي استخدمه المسيح في العشاء الأخير وأقام به أول قداس أمام العذراء مريم. لهذا يصبح الاستخدام للخمير المقدس مستمر حتى يومنا هذا. وهذا أيضاً رمز فالحالة الأولى توضح لنا الاتحاد الإفخارستي للكنيسة بالمعنى الجغرافي لطبيعتها وانتشارها، والثانية تريد أن تتبع طبيعتها الأساسية عبر الزمن والأجيال.

الوحدة في الإيمان والصلاة

لقد وُصف اليونانيون القدماء بالعقلانيين حيث لا يتأثرون بالمشاعر عندما يفكرون، لذا نجد مؤسسي **المدارس الفلسفية** عبارة عن جماعة من الأشخاص ذات هدف واحد وهو السعي للمعرفة حتى وإن اختلف أسلوب العمل والتفكير من مدرسة فلسفية إلى أخرى، مما يشكّل صعوبة كبيرة في التحيز لأي منهما. لكن بعد حلول الروح القدس استطاع المسيحيون الأوائل أن يشكّلوا الكنيسة الأولى في أورشليم مع جمع المؤمنين، "*وكانت جماعة الذين آمنوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، لا يقول أحد منهم إنه يملك شيئاً من أمواله، بل كان كل شيءٍ مشتركاً بينهم*" (أع 4: 32).

كان الروح القدس هو العامل الأول والأساسي في زرع بذرة الإيمان في عقول البشر مما ساعدهم على الاتحاد في التفكير والغاية "*وهناك رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة، وإله واحدٌ أبٌ لجميع الخلق وفوقهم جميعاً، يعمل بهم جميعاً وهو فيهم جميعاً*" (أفس 4: 5-6). الإيمان إذاً ينير العقل ويرده إلى بصيرته الروحية الأولى.

يقدم لنا دارسو ومتخصصو الحياة الروحية المسيحية، العناصر الأساسية للحياة الروحية المسيحية ملخصين خبرتهم في هذا المجال التي تتضمن ما عاشه المسيحيون في أزمنة وحضارات مختلفة، نذكر على سبيل المثال العلاقة بين الأشخاص الذين يعيشون الإيمان بصورة قوية عميقة في حياتهم والأشخاص الذين يعيشون إيمانهم بطريقة بسيطة بدون معرفة أو دراسة إذ يمكننا القول بأنهم جميعاً يدركون أنه نعمة من الله في حياتهم على.

كيف تظهر لنا هذه الوحدة في الإيمان على مر العصور؟ هذا ما تم توضيحه سابقاً، فالإيمان يُمارس بالصلاة فهي العنصر الطبيعي المشترك بين جميع المتوجهين بصلاتهم إلى الله الآب من خلال المسيح وفي الروح القدس، وهي بهذا تأخذ طبيعتها وهيئتها الكنسية. واللذين يصلون بإخلاص وجدية، يصيرون كحبات القمح المطحونة التي تشكّل العجين الواحد المقدم لله في شكل القربان حتى يصير مقدساً في الإفخارستيا الروحية

والكنيسة حتى وإن كانوا منفصلين أو منعزلين في الزمان والمكان، إلا أنهم من القلب تخرج الصلاة لذلك تكون الكنيسة متحدة في القلوب المرفوعة إلى الله.

الوحدة في القانون الإلهي

لقد كانت المدن اليونانية القديمة فخورة بذاتها لأنها استطاعت أن تكون مدينة واحدة لها طبيعتها المدنية المنظمة وخاضعة لحكم قانون واحد. وتحت هذا المنظور عينه كان الشعب الإسرائيلي أكثر افتخاراً إذ قد تسلّم قانونه من الله ذاته. ولقد أعطى المسيح أحبائه "**قانوناً جديداً**" أكثر كمالاً وهو قانون المحبة كفضيلة أساسية تأخذ مكانتها في المسيحية من خلال الأشكال الأساسية التي تقدمها لنا الأخلاق المسيحية والقانون الكنسي.

توجد بعض المبادئ القانونية الخاصة التي وجهت لجماعات معينة لكنها لم تجد القبول من هؤلاء لأنها لم تتماش مع هدف وتعليم الإنجيل الأساسية. فالمسيحيون وحدهم هم الذين يعيشون في عمق ذواتهم وبكل قلوبهم مشاكل الحياة غير منفصلين عن الواقع الحياتي.

إذا تفحصنا تاريخ الكنيسة نجد فيه الكثير من التغير والتطور فمثلاً: كان من المسموح به الحكم بالموت على أصحاب البدع ومَن لا يحيون الوحدة الكاملة مع الكنيسة والآن لا يفكر أحد في ذلك...الخ وهناك الكثير من التغيرات في فهم الكتاب المقدس كتعدّد الزوجات الذي كان مسموحاً به لأسباط إسرائيل الأوائل والأسلوب الذي استخدمه داود في الحروب وهي أشياء غير مقبولة في وقتنا الحالي، كذلك حياة الكنيسة تنمو بنفس الطريقة ولكن نموها يظهر من خلال صفائها ونقائها الذي تعيشه وتعلنه بعمل الخير للجميع.

لا يمكن للإنسان الناضج الرجوع للخلف ليحيا ويعمل مثلما كان يفعل حينما كان طفلاً، كذلك الكنيسة لا يمكنها الرجوع للماضي وعمل ما قد كانت تقوم به في سالف الزمان، بل تجدّد دائماً سعيها إلى الأفضل لحياة البشرية.

يكتب **فلاديمير سولوفيف**[12] **Vlademir Solov'ev** في إحدى يومياته: «**إن أناس اليوم ليسوا هم أفضل ممن سبقوهم، بل على العكس هم أسوا ممن قد سبقوهم**» وهذه حقيقة لكن في الوقت ذاته نجد التعاليم الأخلاقية للكنيسة دائماً في تقدم مستمر لأنها واضحة تدعو وتحث الجميع على حياة القداسة وهذه هي شريعة المسيح وهو العامل الرئيسي الذي يوحّد كل الكنيسة.

الاتحاد الثقافي

لقد أُعتبر زمن العصور الوسطى في نظر الجميع بل وفي نظر الكنيسة أيضاً، الأساس في كل ما تمّ من أفكار وتقدم ونهضة فكرية حضارية حتى يومنا هذا. وما زالت الحضارة الأوربية تحمل بداخلها ما كان يُعلّم ويُعاش في تلك العصور وكانت الإرساليات تريد أن تصبغ بالطابع الأوروبي أسلوب حياة من ينضمون للمسيحية،

---

[11] **فلاديمير سولوفيف Solov'ev Vlademir ولد** في موسكو عام 1853، وكان والده أستاذاً في جامعة موسكو.درس الفلسفة في نفس الجامعة وحصل على درجة الدكتوراه عن رسالة" أزمة الفلسفة الغربية". من أهم أعماله "محاضرات عن الإلهي – الإنساني Lezioni sulla divino- umanità" "المسيح الدجال L'Anticristo، أسس الحياة الروحيةI fondamenti spirituali della vita " توفي عام 1900.

لكن الكثير من المرسلين رفض تطبيق هذا المبدأ على المنضمين للمسيحية، ولاحقاً تمّ تعميق هذا المبدأ ووضعه في الاعتبار، لأنه ليس لكنيسة أن تحدد ثقافة موحدة قاطعة للجميع فهذا حقاً هو من عمل الروح أن تجد هذه الثقافات مكاناً لها في الكنيسة.

لهذا أريد أن أذكر التشابه والتساوي بين الطقوس الكنسية المختلفة، والتي ترجع إلى التقاليد والثقافات المختلفة التي نشأت فيها المسيحية وقد حافظت واحترمت عناصر الثقافة الخاصة بهؤلاء الأشخاص وطرق تفكيرهم، وعلى طريقة تعبيرهم على إيمانهم بيسوع. وإذ يتحدثون عن عولمة رسالة الإنجيل فالهدف روحي لأن المسيح يريد أن يتجسد في كل الثقافات والحضارات في العالم، لهذا علينا أن نعطي المعنى الأخروي والكنسي لجميع الثقافات والحضارات فكل ما هو موجود من شعر وفن يخدم المسيح والمسيحية.

نذكر ما قد قاله أحد الكتّاب في هذا المجال: «**إن للثقافة والحضارة تأثير قوي وهام في العبادة وطريقة الصلاة، مما يجعلهما يتخذان الشكل الديني الخاص بهما ليصبحا وسائل قداسة في حياتنا**». نجد تأثير الثقافة على الكنيسة وتأثير الكنيسة على الثقافات المختلفة متبادلاً لكنها في الوقت ذاته توحّدها وتجعلها متآلفة ليس فقط على المستوى الروحي لذلك لا نبالغ إذ نقول أن الكنيسة اليوم إحدى أهم القوى الثقافية الهامة.

جامعة

أرسل المسيح رسله إلى العالم كله ليكرزوا بالإيمان الواحد "*فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*" (مت 28: 19). وهنا تظهر الوحدة في تعددية الأماكن وكثرتها. وبذلك نجد الكنيسة الجامعة حاضرة من خلال الكنائس المحلية فأي رباط يجمع بينهما حيث هناك العديد من الجماعات الخارجة عن الإيمان وهي أيضاً عالمية وجامعة؟ تتكون الكنيسة الجامعة من خلال ما يعرف بالبنوة الإلهية سواء كان هذا على مستوى واسع أو ضيق النطاق إلا أنه في غاية من الأهمية، ولا يمكننا أن نتفهم تعددية الكنائس المحلية سوى بالاتحاد في شخص المسيح الذي لا يمكن تجزئتهُ لأنه حيثما يوجد المسيح هناك توجد الكنيسة ويكون الاتحاد. نذكر في هذا المجال ما قد كتبه **كارل راهنر Karl Rahner**[13]: «**إن إيبارشية واحدة لا تكوّن قطاعاً خاصاً في الكنيسة إنما تمثل الكنيسة الجامعة كلها**». يكتب أيضاً القديس **أغسطينوس: «نوجد كمسيحيين في العالم ونتعامل مع كل ما هو موجود به لنعلن له مجد المسيح إلهنا**». ففي الكنائس المحلية يُستخدم كل ما هو خاص من ملابس وطقوس، ومع ذلك فإنهم يعيشون الوحدة الكاملة مع الكنيسة الجامعة. يعلّق البابا **يوحنا الثالث والعشرين** على نص الإنجيل: "*فليكونوا بأجمعهم واحداً: كما أنك فيَّ، يا أبت، وأنا فيك فليكونوا هم أيضاً فينا ليؤمن العالم بأنك أنت أرسلتني*" (يو17: 21)، بقوله « **تفوّه المسيح بهذه الكلمات موجّهاً إياها إلى الله الآب قبل صلبه لذلك علينا أن نفحص ضمائرنا كي نعرف أين نحن من هذه الكلمات لأن كل من لا يعمل ويسعى نحو الوحدة يُعتبر قد ارتكب خطيئة مميتة**».

---

[13] **كارل راهنر Karl Rahner** لاهوتي كاثوليكي وراهب يسوعي، ولد في مدينة فرايبورج Freiburg في عام 1904، أكمل دراساته الفلسفية واللاهوتية في أماكن عديدة. شارك في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني كخبير ومستشار عن مجلس الأساقفة الألماني. من أهم كتاباته "تحول أنثروبولجي" والذي ركز فيه على اهتمام علم اللاهوت بالإنسان. توفي في عام 1984.

إن المسئولين عن صنع وحدة الكنيسة هم: الأساقفة والكهنة لأن ذلك هو من صميم عملهم، ويأخذ هذا مجاله في التطبيق من خلال اجتماعات الأساقفة والكهنة سواء كان على المستوى المحلي أو الدولي. وللعلمانيين أيضاً دور هام في صنع هذه الوحدة وهنا أذكر ما قاله **أليكس هومياكوف Aleksej Chmjakov**: «**في الجحيم الأبدي سيكون الشخص بمنعزل عن الآخرين أما في النعيم الأبدي فسيكون كل شيء مشتركاً بين الجميع**» وهناك إحدى الأيقونات الخاصة بيوم الدينونة التي توضّح هذا المعنى حيث نرى الأشخاص المحكوم عليهم بالجحيم الأبدي يحاولون الصعود كلٌ منهم فوق أكتاف الآخر، أما الذين يذهبون للحياة الأبدية، فيذهبون معاً متشابكي الأيادي وتظهر هذه الوحدة في زمننا المعاصر من خلال الزيارات المتبادلة بين الكنائس وبصفة خاصة لمدينة روما أو في زيارة بعض الأماكن الدينية المشهورة أو تبادل الزيارات بين الرعايا حتى وإن كانت بعيدة.

الوحدة في الخلافة الرسولية

تبني المجتمعات البشرية نظامها السياسي والاجتماعي على أساس وجود الحكّام وهذا المبدأ سائد أيضاً في الكنيسة ويرجع أصل كلمة "**خلافة**" إلى اللغة اليونانية وتعني "**حكومة المقدس**" ويعود استخدام هذا التعبير إلى زمن الرسل، ففي رسالة **القديس أغناطيوس** الشهيد نقرأ: في معنى الخلافة الرسولية «**الخلافة هي أن تكون تحت سلطة الأسقف وكأنك تحت ظل النعمة الإلهية تماماً [لأن الأسقف يستمد سلطانه الخدمي والقيادي من الرسل الذين قد استمدوا سلطانهم من المسيح] والمسيحيون هم الذين يمجدون الله الآب ويسوع الابن والروح القدس ويخضعون لسلطة الأساقفة والكهنة والشمامسة هم مساعدو الأسقف**». وبين جميع كنائس العالم يوجد أسقف روما وهو الأول بين المتساويين بالمحبة [المقصود بأسقف روما هو البابا ويأخذ لقب بابا بصفته أسقف لروما].

وجّه المسيح رسله الذين اختارهم وأرسلهم كي يعلنوا الخبر السار لأبناء إسرائيل وللوثنيين وللعالم أجمع، وتبدو لنا إرسالية الرسل وكأنها منحتهم قانوناً خاصاً لتتميم البشارة لذلك اختار الرسل بدورهم أشخاصاً ليساعدوهم في إعلان الخبر السار وعُرف هؤلاء على أنهم خلفاء الرسل إذ أن اختيارهم من قبل الرسل ليعاونوهم جعلهم يمثلون جزءً من السلطة في حقل الخدمة والرسالة وبناء على ذلك أصبحوا يمثلون سلطة رسولية جديدة.

وقد تم تأسيس كراسي رسولية جديدة بعد معاهدة قسطنطين عن طريق الأساقفة الذين يقومون بخدمة هذه الأماكن مثال على ذلك: "**القديس أمبروزيوس أسقف ميلانو**"، الذي يعتبر أن الذين يجلسون على الكراسي الرسولية هم الذين يعيشون علاقة السلطة مع الآخرين من اخوتهم، وبصفة خاصة مع خليفة القديس بطرس بروما، في الحقيقة فإن سلطان الخلافة قد أعطيَّ سواء للرسل أو على المستوى الإرسالي إلى من هم خلفاء الرسل الحاليين كجماعة الأساقفة.

السلطة المقدسة

نسمع في زماننا الحاضر هذا التعبير "**الكنيسة مؤسسة**" سواء كان هذا على المستوى اللغوي أو في الحديث اليومي المعتاد وهذا يجعلنا نوضّح الفرق بين نقطتين وهما:

1- إنها **مؤسسة** أحكمت في تنظيمها وليست فوضوية.
2- إن مسئوليها هم المكرسون الذين لديهم موهبة ونعمة خاصة، خصوصاً في ممارسة الأسرار ومنحها للعلمانيين ونجد البعض يعترض على ذلك لأنه يراها منظمة أسرارية، أي عملها الأساسي هو الاحتفال بالأسرار المقدسة، وفي هذا التفكير بعض الشطط لأن نعمة الاحتفال بالأسرار واحدة مثل باقي النعم التي أُعطيت لخدمة الكنيسة.

ففي عهد آباء الكنيسة الذي تمتع بعظمة النظام الكنسي نجد **دينيسوس الأوريوباجي وهو مؤلف ناسك** يكتب عن السلطة الكنسية ويشبهها بأنها عبارة عن انعكاس للنظام السماوي الذي يظهر في أناشيد الملائكة المتناغمة الألحان. ويمكننا أن نلاحظ هذا في الكنيسة فمثلاً عندما تنظم حفلة موسيقية بطريقة جميلة متناسقة فإنها تعبّر عن حقيقة الزمن المُعاشة متضمنة الموضوع الذي يشغل فكر الجميع. ففي العصور الوسطى كان هناك أساقفة يشكون من عدم استقرار الجماعات الدينية، [المقصود بالجماعات الدينية هنا هو بعض الرهبانيات أو المؤسسات الدينية التي كانت منتشرة في ذاك الوقت ومنها ما هو مستمر حتى الآن ومنها ما قد انقرض ولم يعد له وجود]، لأن الكثير من هذه الجماعات كانت تشعر وكأنها غير خاضعة لسلطة الأسقف المباشر لها.

أما في القرن السابع عشر فقد نشأت بعض الحركات الاستبدادية العلمانية والتي كانت تنادي بالتنسيق والتنظيم المتقن مما جعل الأساقفة في ذلك الوقت كما لو كانوا ضد الحكومات المدنية. وبعد مرور فترة من الزمن ظهر موضوع النظام الكنسي تحت مسمى "**الزمالة**". وعلينا ألا ندهش من هذا التحول الذي يظهر العنصر الإنساني للكنيسة بصورة قوية ليصبح مثل جميع الأشياء الإنسانية الأخرى التي تتغير لتلبي الاحتياجات الضرورية في جميع الحالات على حسب الزمان والمكان أيضاً. لأنه بهذه الطريقة يأخذ عمل السلطة معناه الحقيقي العميق.

في هذا المجال **يقول دينسيوس الأوريباجي «إن واجب السلطة الكنسية هو تطهير وتنوير وتوحيد شعب الله»**. وهو يذكر ويوضح هنا أيضاً في هذا المجال التدرج المختلف للحياة الروحية: حياة الطهارة الاستنارة والاتحاد كما يحدثنا القانون الكنسي عن واجبات المسئولين في الكنيسة: الأساقفة، الكهنة، رؤساء الرهبانيات ولكل منهم دوره وعمله الخاص الذي ينص عليه القانون والتي ينالونها من خلال سيامتهم واعتلائهم المناصب الخدمية المختلفة. وأول هذه القوانين التي تظهر كحتمية تخص الكاهن وهي: على المتقدم للكهنوت أن يكون طاهراً مستناراً ومن الضروري للوحدة بين الكهنة أينما وجدوا أن يصبحوا متحدين من خلال كل ما يقومون به من خدمات معبرة عن ذلك.

أذكر مثالاً على ذلك يساعد على التعمق فيما قيل وهو أن أي كاهن بعد السيامة الكهنوتية يمكنه أن يحتفل بسر الإفخارستيا وأن يمارس سر الاعتراف وكذا باقي الأسرار، لكن كي يقوم بممارسة الأسرار خارج نطاق السيامة أو الرعية المكلّف بها، يلزمه إذن خاص من الأسقف المباشر، وهذه الضرورة توضح أهمية وضرورة النظام داخل المجتمع الكنسي.

سلطة القانون، والنظام، سلطة الحب الروحي

نسمع العديد من الآراء التي تقول أن النظام الكنسي المتبع يشبه تماماً ما كان متبعاً في العصور الوسطى، ولم تستطع الكنيسة التخلص من هذه المبالغة فالكنيسة تحيا كأسرة متحدة ومجسدة للحب الإلهي كي لا يقتصر عملها على إصدار أوامر وتعليمات نظامية. فبعد عماد الشعوب الوثنية حاول الأساقفة ومؤسسو الأديرة أن يؤمّنوا حياة من قبلوا العماد ضد المضطهدين للمسيحيين كما استشهد العديد من الأساقفة لنفس السبب وسُفكت دمائهم واعتبروا شهداء للإيمان.

أما عمل المحبة فهو مؤسس على التعاليم النظامية ويجب عليه أن يُظهر السمو الروحي لمن يقومون بتطبيق الأحكام والنصوص القانونية ففي العهد القديم أعطيت الشريعة من الله لكن كان تطبيقها حرفياً فريسياً، ولقد أدان يسوع عدة مرات هذا التطبيق الحرفي للشريعة ولكنه لم يدين الشريعة ذاتها بل بالحري أكّد على صحتهما وضرورة العمل على حسب تعليمها موضحاً أنه من المهم أن نراعي العامل الأساسي عند التطبيق وهو المحبة التي تفوق الشريعة في قوتها.

وهناك في هذا المجال رأي معاكس وهو أن المسيح أكّد على الشريعة المعطاة من الله أمّا التعاليم والنصوص القانونية الكنسية فهي ثمار التطوّر التاريخي البشري وغير مستمدة من التقليد الرسولي بصفة كلية حيث كانت جماعة المؤمنين الأوائل تتميز ببساطة وسهولة التعامل فيما بينها فإذا تخيلنا القديس بطرس يعود اليوم إلى روما فسيسمعنا عظته وتعليقه على النظام القائم داخل المؤسسة الكنسية الرومانية [أي التي تدير شئون الكنيسة].

ويرد أيضاً رأي عام نشأ في المحيط البروتستانتي يحدثنا عنه الكاردينال **جون هنري نيومان**[14] **John H. Newman**الذي انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية بعد أن بدأ مسيرته الروحية كعضو في حركة أكسفورد التي كانت تنادي العالم كله بالتخلي عن العلمانية والرجوع إلى صحة الوحي الإنجيلي الذي تسلمناه من المسيح.

لكن أين نجدها؟ وقد رأى نيومان في هذه الفكرة عنصرين هامين: الأول عقائدي والآخر كنسي. فمن خلال دراسة الكتاب المقدس نجد أن الوثائق الكتابية نفسها عبارة عن ثمرة من ثمار التقليد الكنسي للكنيسة الأولى ويجب قراءتها واضعين إياها في إطار حياة الكنيسة. لكن اليوم تصادفنا مشكلة أخرى وهى أي من الكنائس يمكن اعتبارها موثوق بها كالكنيسة الأولى؟ وبعد عملية بحث طويلة وصل **نيومان** إلى توجيه كل دراسته نحو الكنيسة الكاثوليكية وأول ما لاحظه أنها تختلف كلية عن تلك التي كانت في أورشليم، لكنه فكر في هذه الاختلافات وعبّر عنها كاختلافات في العمر والحقبة الزمنية لا تمس طبيعة الكنيسة وجوهرها ممثلاً إياها بوجه سيدة شابة نرى فيه نفس الملامح التي كانت في وجهها عندما كانت فتاة فالشخص يحتفظ بنفس السمات ولا يتوقف في الوقت ذاته عن النمو بمرور السنون.

إن نمو الكنيسة وتطورها يحمل بداخله تطور عناصر الإنسان في التنشئة النظامية والقيادية، لكن للسلطة في الكنيسة **بُعد تقشفي زهدي مستمد من المسيح ذاته** ولمن يريدون اتباع خطواته في وقتنا الحاضر

---

[14] الكاردينال **جون هنري نيومان**، ولد في عام 1801، كان كاهناً في الكنيسة الأنجليكانية بإنجلترا. وكان واحداً من آباء حركة أكسفورد التي توخت تجديد الكنيسة الأنجليكانية النامية في خضوعها للسلطة المدنية في 1833. ثم انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية رغبة منه في البحث والوصول للحقيقة والإيمان، فجاء إلى روما ودرس في كلية انتشار الإيمان ودرس اللاهوت بها، وبعدها كانت كل دراساته قائمة على النهوض والتطور الفكري للاهوت العقائدي، في القرن الماضي، ثم منح درجة كاردينال توفي في عام 1890. سوف تعلن طوباويته قريباً بروما.

وهذا ما جعل **اللاهوتي نيومان** يفكر: **"إني أحتاج إلى هذه الفضيلة"** التي تساعد على البعد عن المذاهب التي تعتمد على العقل وحده في فهم الحقائق. على هذه السلطة أن تكون حرة وأن تقبل هذه العناصر بروح الإيمان ولا تنكر السلطة الكنسية المتعددة المناصب، فهناك مثلاً في بعض الكنائس الأرثوذكسية من ينكر سلطة بابا روما على الكنيسة جمعاء أما الكاثوليك فينظرون للبابا على أنه أب روحي للجميع، ولكنا نستطيع أن نقبل أي سلطة كنسية من خلال المنظور الروحي والعمل الروحي الذي تقوم به داخل الكنيسة سواء كان هذا على مستوى الأساقفة أو الكهنة.

الطاعة للبابا

نعرف جيداً أن الطاعة لبابا روما هي نقطة الخلاف الرئيسية بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية ولا نريد في هذا المجال ذكر الشواهد الكتابية أو الآبائية التي تدعم الإيمان الكاثوليكي لأن هذا يحتاج إلى شرح مطول، لكن سنقدم بعض المقتطفات السريعة التي تشير إلى ذلك:

أول هذه الموضوعات هي عصمة البابا من الخطأ: وأريد في هذه النقطة أن أذكر لكم موقف من خبرتي الشخصية يساعد على فهم هذه المعضلة بصورة أوضح، في إحدى المرات تواجدت في منزل واحد من أعز أصدقائي الأرثوذكس وهو مدرس للاهوت في رومانيا وكان هناك أيضاً راهب أرثوذكسي وبينما نحن نتناول الطعام بدأ الحوار بهذه العبارة: "ما هو الاختلاف الموجود بين الكاثوليك والأرثوذكس؟" لم يكن المجال هنا مجالاً للمناقشة بل للتسامر فقط، فرد أستاذ اللاهوت الأرثوذكسي في عبارة واحدة قائلاً: "**عصمة البابا التي لا نستطيع أن نقبلها!**" فأضفتُ هذه الجملة قائلاً: "**و أنا أيضاً معصوم من الخطأ!**"، قلت هذه العبارة بوضوح تام وبطريقة جادة مما دفع صديقي أن يقول: "**لنتحاور بجدية وبدون مزاح!**"، قلت: "**أنا لا أمزح**" كانت هذه إجابتي وأردفت "**لأنه في أثناء القداس الإلهي عندما أقول: 'هذا هو جسدي وهذا هو دمي' أو أثناء سر المصالحة عندما أتفوه: بكلمة 'أحلك' فإن كلماتي هذه وكلمات أي كاهن آخر تصبح كلمات معصومة**". فظهرت علامة الدهشة على وجه محدثي وقال: "**هذه هي عصمة الكنيسة؟**". فأجبت قائلاً: "**هذا ما نريد أن نقوله عن عصمة البابا عندما يتكلم باسم الكنيسة جمعاء**". فرد صديقي عليَّ بقوله: **إذا كان هناك مجال للتحاور لابد وأن يكون على هذا الأساس.**

ويمكننا أن نضيف توضيحاً آخر على هذه النقطة بالقول أنه لا يمكن اعتبار البابا معصوماً عندما يبدأ في تفسير الكتاب المقدس تفسيراً روحياً شخصياً من خلال تعليقه على النصوص، لأن هذا يتوقف على مدى معرفته الشخصية وعلمه، كما لا يستطيع البابا أن يكون معصوماً من الخطأ فيما يخص نقاء قلبه الكامل وفي عمل المحبة المتواصل؛ ولكي نعتبر البابا معصوماً فلابد أن يكون أولاً منزهاً وبعيداً عن كل خطأ أو هرطقة في تقديمه للعقيدة المسيحية... وجميع الباباوات كانوا هكذا. أما عندما يتحدث البابا عن نفسه بصفة شخصية فهذا أمر آخر لذا علينا أن نميز في حديثنا عن عصمة البابا بين نقطتين هامتين وهما: عندما **يتحدث باسم الكنيسة للعالم كله** [مثلاً عندما يعلن عقيدة، عندما يعلن طوباوية أو قداسة أشخاص أو عندما يدعو العالم أجمع لعمل شيء ما من أجل خير البشرية كلها مثل دعوته للصوم من أجل السلام، وفض نزاعات

الحروب...الخ] ولا نشك في توافر المحبة وعمل الروح القدس اللذان هما من شروط ولوازم العصمة وعندما **يتحدث باسم نفسه.**

هناك اعتراض أيضاً على أولوية بابا روما ونحن نعرف تمام المعرفة أن البابا هو أسقف روما الجالس على كرسي القديس بطرس وأن هناك الكثير من التشابه بل التساوي مع الكراسي الأخرى فهي أولية شرفية وعليه أن ينال تأييد أساقفة العالم كله المتساويين فيما بينهم للحصول عليها، وهذه الأولوية لا تعتمد فحسب على أنها مستلمة من أيام الرسل، لكنها وُلدت أيضاً نتيجة التطور التاريخي، وهذا لا يخص ولا يمس الإيمان. فأولوية بابا روما ليست موضوعاً إيمانياً، ويقول **فلاديمر سولوفيوف Vladimir Solov'ev**، **سواء كنا كاثوليك أو أرثوذكس فنحن نؤمن بأن تاريخ الكنيسة والتقليد هما أحياء في يدي الله وثمار الروح القدس**.

من ناحية أخرى من المفيد أن نوضح طبيعة الحقبة التاريخية التي عقد فيها المجمع الفاتيكاني الأول، حيث توقفت أعمال المجمع بسبب احتلال روما مما أجبر الأساقفة على أن يعملون ويسعون إلى إنهاء المجمع بسرعة، ونتيجة لذلك نجد الفصل الأخير من المجمع يتحدث عن البابا بتلك اللهجة التي يرفضها الكثيرون، ولكن هذا التعريف عينه ساعد كثيراً في أن يجعل المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني يعيد النظر في هذا الموضوع عينه بعمق وتمعن، كي يؤكّد على ما قد تم في الفاتيكاني الأول بهذا الشأن وبصفة خاصة فيما يتعلق بـ "**الزمالة الأسقفية**".

جماعة الأساقفة

يقول اللاهوتي الأرثوذكسي الشهير **أليكس هومياكوف Aleksej Chomjakov** لا نستطيع القول أن هناك اتحاداً كنسياً حقيقياً لا يمر من خلال جميع المؤمنين. والمصطلح الذي يشرح هذا الاتحاد الكنسي بطريقة أفضل على حسب رأيه استخدم الكلمة اللاتينية "**Collegium**" التي يمكن ترجمتها إلى الزمالة أو الجماعة ولقد جاءت كتابات هومياكوف واضحة للغاية في هذا الأمر لأنه كان واحداً من الذين اشتركوا في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عندما بدأ النقاش والحوار الخاص بهذا الموضوع. أما المصطلح "**جماعة الأساقفة**" فليس جديداً فقد كان معروضاً أثناء المجمع الفاتيكاني الأول لأنه إذا كان الباباوات يشعرون بأنهم مختارون من إخوتهم الأساقفة أرادوا تعميق هذا الموضوع أثناء لقاءاتهم. ولقد تناول البابا بولس السادس موضوع الجماعة الأسقفية في افتتاحه للدورة الثانية للمجمع إذ تحدث عنها على أنها هامة للغاية في الكنيسة.

لقد أعطى المسيح مفاتيح ملكوت السموات لبطرس، "*وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فما ربطته في الأرض رُبط في السموات. وما حللته في الأرض حُلَّ في السموات*" (مت 16: 19). وهذا لا يعني أن المسيح قد أعطى هذا السلطان لبطرس وحده فقط لكنه بالحري قد أعطاه لبطرس مع جماعة الرسل الآخرين. لكن كانت هناك فكرة شائعة أثناء المجمع الفاتيكاني الأول تقول: إن المسيح قد أعطى السلطان لبطرس أي للبابا الذي يتقلد المكانة العليا ثم أعطاه بعدها للأساقفة والكهنة. أما بعد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني فيقولون على الكنيسة أن تتحلى بالروح الديموقراطية باحثة فيما تقوم به من أعمال، عن خلق الروح المشتركة بين الأساقفة، فمع بداية انعقاد المجمع المذكور تم استخدام المصطلح "**جماعة أو الزمالة**" وقد أوضح آباء المجمع المقدس أن

هذا المصطلح لا يشير إلى المعنى السلطوي ولا يبحث كي يلغي ما هو كائن من قبل التقليد الكنسي لكنه يسعى كي يجد الوسيلة المناسبة للشرح بطريقة سهلة وواضحة.

أذكر مثالا واقعياً يوضح هذا المعنى حيث ما زال في بعض البلاد حتى يومنا هذا يكتب في الأوراق والمستندات الشخصية اسم الأب ولا يمكن تغييره لأي من الأسباب لكن هناك بعض الاختلافات: فهناك من يعرف والده على مستوى المستندات المكتوبة فقط لأنه قد مات قبل ولادته وهناك من قد عرف والده أثناء فترة شبابه وهناك أخيراً من يعيش مع والده في نفس المنزل ويحيا حياة الأسرة بل ويعملان معاً... ولا يمكن أن تكون العلاقة الشخصية على نفس المستوى بين هؤلاء الأشخاص، ففي الحالة الأخيرة نجد تعبيراً حقيقياً عن معنى وقوة العلاقة مختلف على مستوى العلاقة الشخصية تماماً.... لكن يظل استخدام التعبير"**أب**" من المنظور القضائي متساوياً على المستويات الثلاثة في كتابة المستندات.

لنطبق الآن هذا المثل على حياة الكنيسة فهناك بعض الكاثوليك الذين لا يعرفون أولوية البابا لأنهم لا يطلعون ولا يقرأون الرسائل والتعاليم التي يصدرها، بل نجدهم في بعض الأوقات لا يتذكرون اسم أسقفهم القائم على خدمتهم في الإيبارشية ولكن على عكس هؤلاء تماماً نجد من الكاثوليك الذين يتابعون البابا والتعاليم التي يصدرها في مختلف مجالات الحياة، وهؤلاء هم من يساعدون الأساقفة في تتميم الأعمال في إيبارشياتهم الخاصة وبهذا المعنى تفتح الزمالة باباً هاماً هو: التعاون المتبادل المشترك بين جميع الأساقفة في مختلف جوانب الحياة والخدمات الكنسية، علاقة متنوعة كعلاقة الأساقفة مع البابا وعلاقة الكهنة والشمامسة مع الأساقفة والرهبان والعلمانيين معاً، ويصبح هذا كله على مثال الأسرة الواحدة التي يوحدها الحوار الخلاق المنسجم المتجانس. من خلال هذه العلاقة الحوارية الأسرية تنبع لقاءات أخرى لتدعم ذلك، فمثلاً لقاءات الأساقفة مع البابا وانعقاد سينودس الكنائس المحلية، لقاء أساقفة بلد ما، وكل هذا يساعد على نمو الروح الرسولية الحقيقية المتحلية بالتعاون والمحبة، والغير ناظرة فقط لهذه الأمور بطريقة قانونية قضائية.

وحدة شعب الله

تتكون الكنيسة من أشخاص يصيرون شعباً واحداً وتجد هذه الكلمات بدون شك مصدرها في الكتاب المقدس لأن موضوع شعب الله يمثل المحور الأساسي في العهد القديم المتمثّل في شعب إسرائيل وأصبح في العهد الجديد يتمثّل في **الكنيسة**. فاستخدمت النصوص التي ذكرت وتحدثت عن الكنيسة في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عبارة "**جسد المسيح**". وهناك من فضّلوا استخدام هذا التعبير "**جسد المسيح**" لأن القديس بولس يذكر أن جسد المسيح مقدس وهذا ما قد أوضحناه سابقاً عندما شرحناه وعرّفنا ماهية الكنيسة أما التعبير "**شعب الله**" فيعتبر كأساس للتكملة لأن الفرد المؤمن لا يعتبر وحيداً ولكنه "**عضوٌ**" في جسد واحد ومن خلال حريتهم الحياتية يستطيعون أن يشكّلوا شعباً واحداً. وهذا ما عمل المجمع المذكور على إيضاحه وإظهاره في مناقشاته.

لكن مع ذلك هناك خطر في تفسير هذا المصطلح لأننا قد تعوّدنا الحديث في لغتنا المشتركة عن الحاكم والشعب وكأنهما موضوعان مختلفان تماماً، لكننا نجد العكس في الكتاب المقدس ف "**شعب الله**" يحمل بداخله جماعة من نسل مختار متميز له لغته وطرقه الخاصة في العبادة، كما لديه رؤسائه الروحيين، ولتوضيح

ذلك بصورة أعمق قدّم المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بطريقة واضحة في آخر صياغة له عن ذلك إذ كان قد تحدث عن: البابا، الأساقفة الكهنة والشعب فظهر هذا وكأنه مقصود به المعنى التجديفي المرفوض والذي يفصل بين الحكام والشعب. لذلك نجد النص النهائي لوثيقة "**نور الأمم**" تعرّف الكنيسة على أنها "**شعب الله**"، وفيها أعمال مختلفة وتدرج رئاسي على حسب دعوة كل شخص.

الوحدة الأخروية ووحدة الفضائل:

تتم الوحدة وتصل إلى كمالها كما ذكرنا سابقاً من خلال فهمنا وإدراكنا للحياة. لذلك فهي حيوية متجدّدة تحقّق غايتها الكاملة في وحدة الكنيسة التي تبدأ من الآن حتى تكتمل مع نهاية الزمن أي في المجيء الثاني ليسوع المسيح. وبطريقة مدهشة للغاية نجد العظة الشهيرة **لفلاديمير سولوفيوف** عن المسيح الدجال حيث يبدأ عظتهُ متخيلاً هذا المشهد ليعبّر عن وحدة الكنيسة: "**لنتصور البابا بطرس الثاني من أجل الكاثوليك ويوحنا للأرثوذكس، والأستاذ الألماني الشهير أرنست بولس للبروتستانت وهم يضعون أيديهم معاً متعانقة قائلين: الآن نحن متحدون حقاً**".

اليوم! لا توجد الوحدة الحقيقية الكاملة لكنا في الوقت ذاته لا نستطيع القول بأن الوحدة لا وجود لها على الإطلاق فهي موجودة بمستويات مختلفة. لذلك علينا ألا نغلق على ذواتنا غير باحثين على عمل الوحدة. يقول **بول إفدوكيموف**[15] **Pavel Edokimov** مخاطباً الكنائس **المنفصلة "نعيش ونحيا "الفضائل" في وحدة الكنيسة، أي أن الكنيسة تعي تماماً أنه يتوجب عليها مواصلة مسيرتها في التقدّم نحو الكمال، نحو هذه الوحدة "الفضائلية"**. وبذا فلا نستطيع أن نستبعد أي إنسان لديه النية الصالحة في عمل الوحدة الكنسية، ويقول **أليكس هومياكوف**: «**إن كل عمل صالح هو كمال المحبة وثمرة الروح القدس، لذلك على كل من يحب الحقيقة، أن يتصدى للأقوياء مدافعاً عن الفقراء محارباً الفساد، ضد ألم العبودية، لأن من يعمل هذه يكون مسيحياً حقيقياً أو على الأقل يعيش جزءً من مسيحيته**».

صورة الثالوث المقدس

العمل في سبيل الوحدة يعبّر عن الكنيسة وكأنها متحدة في أشخاص أحياء ونرى هذا في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الذي يرجع للوراء مستشهداً بأقوال الآباء عن الكنيسة: "**إن الكنيسة هي انعكاس للثالوث المقدس**". الاقتراب من سر الحياة الإلهية في اللاهوت الغربي يتضح من خلال قول أحد مفكري الغرب: «**نؤمن مثل جميع الأديان التي تؤمن بأنه يوجد إله واحد لكن الوحي المسيحي يعلمنا أشياء أخرى وهي إن الله واحد لكنه مثلث الأقانيم [الآب والابن والروح القدس] ونحن نقبل هذا بإيمان كامل ولا نرى في ذلك خطراً على الحياة المسيحية**».

---

[15] **بول إفدوكيموف Pavel Edokimov**، لاهوتي روسي أرثوذكسي ولد في بطرسبورج عام 1905، من عائلة نبيلة، ترك روسيا بعد ثورة 1917 إلى باريس حيث درس في السربون وفي معهد القديس سرجيوس. اهتم كثيراً بالحوار المسكوني بين الكنائس، وكان أحد المراقبين في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني. توفي عام 1970.

يختلف موضوع الإيمان لدى الآباء اليونانيين **"نؤمن بالله الأب الواحد"** ويكون الابن **"إله حق من إله حق"** والروح القدس هو الأقنوم الثالث، وقد كانت المشكلة في المجامع الأولى هي "**الطبيعة الجوهرية**" للأقانيم الثلاثة في اتحادهم الكامل أي أن اتحادهم هو الاتحاد "**الأمثل**" كما يدعوه دينسيوس الأريوباجي.

تتضح أمامنا الآن الصعوبة، لكن القديس باسيليوس يذكرنا بما حدث في كنيسة أورشليم بعد حلول الروح القدس ويقول أن الله ذاته أراد أن يحيا في العالم من خلال الكنيسة مستشهداً بما جاء في سفر أعمال الرسل، "*وكان جميع الذين آمنوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، لا يقول أحد منهم إنه يملك شيئاً من أمواله، بل كانَ كلُّ شيءٍ مشتركاً بينهم*". لقد كان هناك بالفعل خمسة آلاف شخص مختلفون حسب مكان ميلادهم وأعمارهم أيضاً، لكنهم كانوا جميعاً متحدين في قلوبهم. على أي حال يمكننا أن نشرح في هذا المضمون الأيقونة الشهيرة **لروبليف Rublev**، والموجودة بدير الثالوث الأقدس، وهي تمثل نموذج المعايشة الجماعية للرهبان كمثال حي للرهبان في علاقاتهم ونشاطاتهم الجماعية ولنشاطاتهم المختلفة التي يقومون بها. في هذه الأيقونة نجد ثلاث ملائكة جالسون على نفس المستوى وأمامهم كأس واحدة، وهم هنا يرمزون إلى الأقانيم الثلاثة الإلهية الآب والابن والروح القدس المتحدون في الإرادة والمعرفة الطبيعية. وقد اتخذت كنيسة هذا الدير الصغيرة وكأنها مثالاً، للتعبير عن الكنيسة الجامعة العالمية.

أما على المستوى الخلاصي لكل المجتمع الإنساني فعلينا أن نكمل المسيرة كي نصل إلى الكنيسة الواحدة التي تعكس الوحدة في عالمنا، حتى يشعر جميع البشر بأنهم واحد، "*فليكونوا بأجمعهم واحداً*" (يو17: 21)، مثلما الآب والابن واحد لأننا بذلك نصير متشابهين متماثلين، ويصبح لنا قانوناً بشرياً واحداً ولكن علينا أن نضع في الاعتبار عدم الخلط بين المصطلحات كأن نكون متشابهين وأن تكون لنا نفس الحقوق والقوانين وعلينا نفس الواجبات؛ لكنا نجد صعوبة في إعلان حقوق الإنسان في بعض المجتمعات التي ليس لها وعي كاف بالسر الثالوثي لأن الخلاص وحده في الله الواحد المثلث الأقانيم.

الفصل السادس

الكنيسة والعالم

الكنيسة والعالم

تمثّل العلاقة بين الله والعالم مشكلة دينية قديمة ونستطيع أن نستشف هذه المشكلة بوضوح عندما نتفحص الشروحات القديمة عن الله، والتي كانت تستخدم بعض العبارات والألفاظ غير المفهومة، فمثلاً كانوا يقولوا أن الآلهة تسكن في أماكن مختفية محتجبة في السماء، أما الفلاسفة الذين يتبعون أفلاطون في فلسفته فقد كان الله بالنسبة لهم هو المثال الأسمى للخير والجمال وهو المثال الكامل وبالأخص في معرفة الروحيات والاجتهاد للتحرّر من الشهوات الجسدية. لكن كيف يمكننا الوصول لهذا؟ يرد أفلاطون مؤكداً أننا "**صورة الله**" التي تتوق بالطبع إلى النموذج الأصلي الغير المرئي لأن ما ليس له أساس في الملكوت الأعلى لا أساس له على الأرض وغير موجود وغير صحيح وبالتالي يعني التوجّه إلى الله الهروب من العالم.

لا ينكر الكتاب المقدس أن هناك فجوة بين العالم والله، ومن الناحية الأخرى نعرف أن العالم قد خرج من يدي الخالق ليظهر حبه وحنانه. لكنَّ الحزن قد شمل على الإنسان وسيطر نتيجة ارتكابه للخطيئة، وكانت النتيجة هي غضب الله على العالم، وبهذا دخل الشيطان المخادع العالم وأصبح العالم بمثابة العدو. لكن الله الآب أرسل المسيح ابنه الوحيد كي يخلص العالم "*فإن الله أحب العالم حتى إنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية*" (يو 3: 16).

على المسيحيين أن يهربوا من العالم عندما يبدأ في إغرائهم بحيث يجعلهم ينسون الله ويبتعدون عنه، "*ليسوا من العالم كما أني لست من العالم*" (يو 17: 16)، وبنفس الطريقة نقيس كل أمور العالم الشريرة التي تجعلنا نترك واجبنا الإيجابي نحو خلاص العالم "*ولا أعني زناة هذا العالم أو الجشعين والسراقين وعباد الأوثان على الإطلاق، وإلا وجب عليكم الخروج من العالم*" (قور 5: 10). لأننا شئنا أم أبينا أننا في العالم، "*لست بعد اليوم في العالم وأما هم فلا يزالون في العالم وأنا ذاهب إليك يا أبت القدوس احفظهم باسمك الذي وهبته لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد*" (يو 17: 11).

بهذا المعني يُصبح للعالم وجهان مختلفان وهما: الوجه الذي يظهر به العالم ابان اضطهاد المسيحيين الأوائل وحتى عهد قسطنطين الذي كان له طابع سلامي حيث تعمل الكنيسة كل ما في وسعها من جهد في تنصير أوروبا كلها وكان لها النجاح الملحوظ المستمر في ذلك أما في وقتنا الحاضر فنجد الكاثوليك يأخذون على عاتقهم جزءً من الحياة العامة حتى يستطيعوا المحافظة على الوجه المسيحي للعالم من العولمة والمدينة حيثما يوجدون. كما لا نستطيع في الوقت نفسه أن نغلق أعيننا على ما هو محيط بنا في العالم الذي يتطور تطوراً سريعاً، كيف نستطيع أن نتعامل مع عالمنا الذي نعيش فيه بعد أن فقدنا أي رجاء في عالم أفضل؟ لقد شغلت هذه المشكلة آباء المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني فخصصوا لها فصلاً كاملاً تحت عنوان **الفرح والرجاء**، فماذا نستطيع أن نتعلم من هذه الوثيقة؟

1. علينا ألا نعارض العالم بطريقة متغطرسة ومتكبرة تدفعنا إلى أن نقسو في الحكم عليه بأنه عالم مليء بالشرور فقط، متناسين كل ما هو خير وحسن به، نحن نصنعُ عالمنا الذي نعيش فيه نصنع أفراحه وأحزانه، وبذلك تصبح أفراحنا وأحزاننا نحن حتى الخطايا الموجودة به وبنا والتي يجب علينا أن نقدّم توبة عنها.
2. مازالت العناية الإلهية تواصل عملها باستمرار في العالم اليوم، وتدعو الأشخاص إلى الخلاص، وقد ذكر البابا يوحنا الثالث والعشرون في خطبة افتتاح المجمع كلمة في هذا الشأن خاصة بالعالم والنبوات الغير صحيحة من بعض الذين ينظرون للعالم المعاصر نظرة تشاؤمية.
3. أساس المرض الروحي الذي يصيب أُناس اليوم هو عدم الاقتناع والإيمان بأن الله ما زال يعمل في العالم ليومنا هذا، وسيظل يعمل إلى نهاية الزمن لذا يصبح عمل المسيحيين وواجبهم تعريف الآخرين أن الله موجود وما زال يستخدم رحمته ويعمل من خلالها في العالم.
4. هذا كله يجعلنا متضامنين مع إنسان عالم اليوم، ويحثنا على استعمال الرحمة معهم على مثال رحمة الله ذاته لنا.

علاقة الكنيسة بالدولة والمنظمات المدنية

إن الكنيسة منظمة إنسانية نظمت على أساس روحي لكنها تعيش في الدول التي نظمت على أساس إنساني سياسي واجتماعي بحت، فما هي العلاقة بين هاتين المنظمتين؟ نستطيع أن نجد الرد على هذا السؤال من خلال، التاريخ المليء بالمواقف الكفيلة بالرد على ذلك، حيث يذكر لنا التاريخ الكثير من الحروب والمشاحنات، أما وثيقة **فرح ورجاء** فتقدم لنا بعض الأفكار التي ترد بطريقة شاملة على احتياجات عالم اليوم.

1. إن عمل الكنيسة هو عمل ديني روحي وليس عملاً دنيوياً سياسياً. وقد تحدث اللاهوتيون في الماضي عن "**جماعتين متكاملتين**"، الكنيسة والدولة وحاولوا أن يجدوا العلاقة بينهما، لكن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني يتجنب هذا المصطلح، حيث تعمل الكنيسة والدولة لخير الإنسانية وصالحها لكن على مستويات وطرق مختلفة.
2. تقديراً للعمل الإيجابي للآخرين يصبح واجب الكنيسة ودورها هو معاونة ومساعدة القائمين بهذه الأعمال. ولا يجب أن تنشغل الكنيسة مباشرة بالأمور السياسية أو الاقتصادية لكنها تحاول جاهدة مساعدة السياسيين والاقتصاديين في القيام بدورهم على أكمل وجه. لذلك تدعم الكنيسة المنظمات المحلية والعالمية مثل: منظمة الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الغذاء الدولية... الخ
3. سبق وقلت أنه لا يجب على الكنيسة أن تطابق عملها بالأعمال الأرضية المتعلقة بمعرفة الأمور الاقتصادية والسياسية، وعليها أيضاً ألا تعتمد على هؤلاء الذين يعملون في مجال الحقل السياسي، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فعليها أيضاً أن تركّز جُلّ انتباهها في المجال الروحي- الاجتماعي. كما على الدولة ألا تستخدم الكنيسة كقناة لتنفيذ مخططاتها السياسية الخاصة، وعلى الكنيسة ألا تتخلى عن قانونها الكنسي وتغيّره تحت ضغط من الدولة.

4. الدولة بطبيعتها علمانية لذلك عليها ألا تتدخل في الأمور الدينية إلا لضمان حرية العبادة الدينية لمواطنيها حتى تستطيع الكنيسة أن تشعر بحريتها في ممارستها الدينية.
5. تستطيع الكنيسة والدولة عن طريق الاحترام المتبادل بينهما، أن يختارا ويضعا الصيغة المناسبة التي توضّح دور كلٍ منهما حسب طبيعة المكان والزمان.
6. أحد أبرز الموضوعات التي تسعى الكنيسة للاشتراك فيه مع الدولة والمنظمات المدنية اليوم هو الدفاع عن حرية الإنسان وحقوقه الطبيعية وإيقاظ الضمير الأخلاقي والحفاظ على الحس الروحي وسط عالم مليء بالتقدم التكنولوجي السريع والسعي الدائم لحل مشكلات الفقر والعبودية في البلاد الفقيرة.
7. تحاول الكنيسة دائماً على مرّ العصور رد النفوس إليها وحثّها على التوبة وعدم ارتكاب الخطيئة وتوضّح كيفية تجاوزها والتغلّب عليها من خلال الإيمان بالمسيح.

علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالمسيحيين الآخرين

"فيكونوا بأجمعهم واحداً: كما أنكَ فيَّ يا أبتِ وأنا فيك فليكونوا هم أيضاً فينا ليؤمن العالمُ بأنَّك أنت أرسلتني" (يو17: 21). على جميع المسيحيين أن يأخذوا على عاتقهم وبجدية تنفيذ رغبة يسوع وأمنيته الأخيرة قبل آلامه التي تركها لنا كوصية واجبة التنفيذ، وقد سعت الكنيسة الأولى لتنفيذ هذه الوصية بدفاعها عن العقيدة ووقوفها أمام أصحاب البدع الذين حاولوا أن يشقوا وحدة الكنيسة، كما حاولت دوماً تلافي الانشقاقات في الكنسية، ويذكّرنا القديس يوحنا في رسالته الثانية: "إذا *جاءَكم أَحدٌ لا يحمل هذا التعليم فلا تقبلوه في بيوتكم ولا تقولوا له: سلام!من قال له: سلام، شاركه في سيئات أعماله" (2يو 10، 11)*. وكان لدى آباء المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الوعي الكافي مما جعل الكنيسة تبدأ في مناقشة مواضيع جديدة تلبي احتياجات الأزمنة الجديدة. هذا لا يعني التساهل مع من يقف ضد إتمام الوحدة المسيحية ومعايشتها في الكنيسة، كما لا يجعلنا نفكر في المنتمين لطوائف أخرى على أنهم هكذا تلقنوا تعليمهم وأفكارهم عن الوحدة بصورة خاطئة أو ضئيلة. [المقصود بهؤلاء هم من يتبعون كنائس غير كاثوليكية].

ساعدت هذه العوامل على تكوين رغبة جادة في إتمام الوحدة المرجوة وذلك من خلال اللقاءات المسكونية المختلفة، وقد بدأ هذا في المحيط البروتستانتي أولاً وذلك عام 1920. ومع مرور الزمن وبالتحديد في عام 1948 صدرت وثيقة بعنوان "**دستور الإيمان**" في اللقاء المسكوني الأول الذي عقد بصفة حقيقية في أمستردام – هولندا وقد عُقد هذا المؤتمر تحت قيادة "**المجلس المسكوني لوحدة للكنائس**".

صدرت أيضاً وثيقة من المجمع المقدس للعقيدة بروما عام 1949 تؤكد على ما جاء في الوثيقة السابقة والتي اعتبرها المجمع المقدس للعقيدة بداية جيدة لمسيرة الوحدة، حتى وإن كان الاشتراك الكاثوليكي في ذاك الوقت غير ذي جدوى نظراً للظروف السياسية التي كانت سائدة في تلك الفترة الزمنية، لكن الكنيسة الكاثوليكية استمرت بعد ذلك ولم تخش ولم تتراجع فيما قد بدأ من مسيرة في سبيل إتمام الوحدة، مما أدى إلى تعيين "**مسئول عن الوحدة المسيحية**" وذلك في عام 1960، «**كي يظهر المحبة والوعي للآخرين الذين ينتمون**

للمسيحية ولكنهم منفصلين عن الكرسي الرسولي حتى يتثنى لهم الاشتراك والمتابعة في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني...».

ينادي مرسوم المجمع ويؤكّد على تنوير الكاثوليك ويعضّد الروح الإيمانية لديهم ويشجعهم على الاشتراك في العمل المسكوني بطريقة فعّالة، لأنه بهذا نستطيع جميعاً أن نعترف بالفعل لا بالقول فقط بأن وحدة الكنيسة مؤسسة على المسيح ذاته. لذلك نجد جميع المؤمنين متحدين معاً في الإيمان سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو الخارجي، وأول مؤسس للوحدة الحقيقية هو الروح القدس الذي يظهر في الإيمان والرجاء وفي المحبة التي تملأ القلب تجاه الآخرين. وثان مؤسس للوحدة هي الأسرار الكنسية وأهمها العماد، والإفخارستيا، أما الثالث فهو الزمالة الأسقفية التي يرجع أصلها إلى الرسل. والعناصر الثلاثة السابقة تساعد على نمو الوحدة المسيحية وانتشار حياة الفضيلة بين جميع المسيحيين عندما يبدأ كلٌ منهم في السعي لتتميم الوحدة المرجوة تحت عمل وقيادة الروح القدس الذي يقود الكنيسة جمعاء. من هذا المنطلق أيضاً نجد كنيسة المسيح الواحدة تحيا الاتحاد والوحدة بدرجات متفاوتة. فالكاثوليك يقبلون العناصر الأساسية التي تشكل جسد المسيح السري.

أما الكنائس الأرثوذكسية فلا تقبل جميع العناصر الكاثوليكية كما لا تقبل أولوية بابا روما كرئيس للكنيسة ولكنهم محتفظون بممارسة الأسرار والتقليد الكنسي وهذا هام جداً، أما مع الكنيسة البروتستانتية فيظل العنصر المشترك بيننا وبينهم هو الكتاب المقدس والعماد ويظل الجهد المبذول لتتميم الوحدة في حاجة إلى عمل دءوب متواصل حتى يتثنى للكنائس أن تعاود الدخول في دائرة الوحدة المسيحية. وهذا يتم عن طريق الحب المسيحي المتبادل، المتسامح الذي يسعى لتتميم إرادة المسيح داخل كنيسته، فإذا تم هذا تصبح الوحدة ليست فقط على المستوى الخارجي إنما على المستوى الروحي الذي يعكس حب الله للجميع.

علاقة الكاثوليك مع غير المسيحيين

بجانب المرسوم الخاص بالحوار المسكوني مع كافة المسيحيين نجد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني قد وضع مرسوماً آخر يخص العلاقة مع غير المسيحيين، وترجع أهمية هذا الموضوع لما يتصف به عالم اليوم حيث يعيش المؤمن المسيحي بجانب أخيه من الأديان الأخرى حيث يشتركون جميعاً في عالم واحد، ويسعون معاً لإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه عالم اليوم، فما هو الشيء الذي علينا أن نقدره في هذه الاختلافات؟

1. بصفة عامة تنبه جميع الأديان إلى المعنى والحقيقة السامية وكلاً منها يحاول أن يشرح هذا بطريقته الخاصة (مثل الهندوسية والبوذية المنتشران في دول آسيا).
2. يعبد المسلمون إلهاً واحداً قديراً رحيماً ويصنعون كل شيء حسب إرادته، ويعترفون بالمسيح كنبي ويحترمون أمه العذراء مريم. وقد حدثت في الماضي حروب بين المسيحيين والمسلمين والآن علينا أن نبحث أكثر عن التضامن الاجتماعي.
3. عندما نتحدث عن الشعب العبراني علينا ألا ننسى الخيط الرفيع الذي يربط بين العهد القديم والجديد فحتى وإن لم يستطيع اليهود قبول المسيح كإله بل حكموا عليه بالموت فلا نستطيع أن نحكم على

العبرانيين وكأنهم شعب ملعون كما حكم عليهم في الماضي، لأن المسيح قبل الموت بكامل حريته لأجل خلاص جميع البشر.

4. الأخوّة العالمية التي نعظ بها ونعلّم يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن التمييز العنصري والتفرقة الدينية، وهنا يكمن خطر ملّح يحارب الإيمان لكن علينا التمسّك بإيماننا المسيحي وأن نظهره بشجاعة وبدون خوف على مثال المرأة الكنعانية التي يذكرها الإنجيل "*وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح:" رحماك، يارب! يا ابن داود، إن ابنتي يتخبطها الشيطان تخبطا شديداً"* (مت15: 22).

الحرية الدينية

لقد أُعتمِدت الوثيقة الخاصة بالكرامة الإنسانية من آباء المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بطريقة إنسانية بحتة بالرغم من الصعوبة التي واجهتهم أثناء المناقشة الخاصة بها لأنها كانت في غاية الصعوبة وقد تمّت متابعتهم لهذه الوثيقة في البداية من خلال ستة نصوص مختلفة أُدخل في كل منها تغييرات ملحوظة، لكن في النهاية يثبت البابا بولس السادس هذه الوثيقة كواحدة من أهم الوثائق التي يتضمنها المجمع وفي الحقيقة تمت مناقشة الحرية الدينية منذ زمن طويل ولكن لم تُعرف لدى الجميع حتى يومنا هذا كما يوجد إلى اليوم مَن لا يريد الاعتراف بها وقبولها.

ومن جهة أخرى كان من المشاركين في هذه المناقشات وصياغتها مَن أراد عدم المبالغة في المناقشات النظرية البعيدة عن الواقع المعاش، وكانت إحدى أهم هذه القضايا مسألة "**دين الدولة**" وقد بدأ المجمع المذكور جلسته بالحديث عن الحرية الدينية وكان بعض الآباء يتوقع أن تكون ثمار هذا الحديث سلبية بالدرجة الأولى لكنها قد أتت على العكس تماماً وبشكل حرّ في التفكير وبدون تعصّب ولا تحيّز ديني ويمكننا أن نلخص النقاط الرئيسية التي قد جاءت في هذه الوثيقة المجمعية:

1. على جميع البشر أن يبحثوا عن الحقيقة أما الذين عرفوها وتوصلوا إليها في الإيمان الكاثوليكي فيجب عليهم الثبات فيها والاعتراف بها والدفاع عنها.
2. لا نستطيع أن نقول: إن كل الأديان متساوية في خلاص الأنفس، لكن على الكاثوليك أن يعرفوا جيداً أن طريقهم هو الأصح وأن إيمانهم هو إيمان حقيقي.
3. من ناحية أخرى وهي صحيحة للغاية لا نستطيع أن نجبر أحداً على الاعتراف بالإيمان عن طريق العنف، فعلى كل منّا أن يستمع جيداً لصوت ضميره وبحريته بغير ضغوط إنما بالمساواة التي تضعها القوانين بين الجميع.
4. نستطيع القول أن الحقيقة تشهد لذاتها لذلك يجب أن تكون حرة، لكننا لا نؤمن بالحرية المطلقة وعلى الإنسان أن يكون حراً في بحثه عنها بجدية وعلى المنظمات والهيئات المدنية أن تضمن حرية هذا الحق الطبيعي وأن تترك الحرية الشخصية لكل فرد كي يمارس إيمانه الديني دون ضغوط، وبصفة خاصة يجب أن تكون معايشتهم لدين ما مصحوبة بالحرية الدينية الكاملة سواء كان على المستوى العائلي أو التعليمي والتثقيفي.

5. يجب على الدولة ألا تقوم بالمفاضلة بين الأديان واختيار دين خاص بها لأنه غير محبذ ولا محبب أن يكون هناك دين خاص بالدولة [أي دين رسمي للدولة] كذلك على الدولة أن تعرف أن الدين يمكن تصنيفه كخير عام للجميع.
6. لقد أخذ قانون اتحاد الزمالة الدينية في التقهقر والانحدار في تكوين المجموعات المتعصبة المتطرفة الأساسية لأن التعسّف لا يعني عجز أصحاب الحق عن استخدام القوانين لذلك يكون الدفاع عن الحرية نابع من تعلّم احترام حرية الآخر، حرية الحب المتبادل التي تتجنب التعاليم والمبادئ التعصبية المنحازة ضد كرامة جميع البشر.
7. إن النشاطات الإرسالي التقليدي في الكنيسة الكاثوليكية لا يهدف إلى التقليل من حجم وأهمية الحرية الدينية بل يهدف إلى خلق طريق من التعاون والحوار الأخوي في البحث عن حقيقة المسيح، بكامل الحرية التي تتضمنها وتنص عليها القوانين والحقوق لكل إنسان. حيث أرسل المسيح تلاميذه إلى العالم كله كي يكرزوا بالإنجيل، "*فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بٱسم الآب والابن والروح القدس*" (مت 28: 19). وهذا النشاط التقليدي للكنيسة يكون متفقاً مع طبيعة وقتنا الحاضر مما جعل المجمع يخصص وثيقة لهذا الموضوع.

الكنيسة والفن

لا نحتاج أن نسترجع بصورة مطولة تعامل الكنيسة مع الفن على مرّ العصور فحتى يومنا هذا نجده متداخل في كل المجالات من تأسيس الهياكل إلى حامل الأيقونات (الحجاب)، إلى استخدام الموسيقى والشعر...الخ حيث يعبّر هذا كله عن اتحاد الطبيعة كلها معاً إن محتوى الإيمان المسيحي مبني على الأسرار التي تفوق الذكاء والمعرفة البشرية لذلك نعبّر عنها برموز بسيطة أرضية لإظهار روعة وجمال الصورة السمائية.

يبرر **فلاديمير سولوفيوف** هذه الخبرة من خلال عدة اعتبارات فقد عُرّفت العلوم في فكر ديكارت الأساسي على أنها "**صوائب**" ونجده ينطلق من فكرة أساسية واضحة ثم يبدأ بتحليلها ليصل إلى ما ترمي إليه هذه الفكرة في الواقع. ويعبّر منهج وطريقة الفن عمّا هو كائن أمامنا محاولاً تجسيده في الجمال حتى نستطيع اكتشاف الحقيقة العليا السامية الكامنة من وراء الفن ذاته فمثلاً: الكربون والماس هما من نفس الخامة في كميائياً، لكننا في الفحم لا نرى سوى الفحم، أما في الماس فنرى انعكاس ضوء السماء.

إن كمال الجمال هو في شخصية يسوع المسيح ذاته لأنه قد عبر عن ذلك وأعلن قائلاً: "*من راني فقد راء الآب*" (يو 14: 9) فهو الذي في إنسانيته تتجلى ألوهيته وهذا ما دفع آباء الكنيسة إلى القول من يرى الكنيسة يرى المسيح فهي جسده السري. وقد كتب القديس **غريغريوس النيصي: الكنيسة هي عروس المسيح، ومن يرى جمال العروس يرى أيضاً العريس السماوي.** وبهذا يُصبح هدف الكنيسة وغايتها مطابقاً مع عمل الفن لأن الفن الحقيقي هو روحي ديني.

خطورة الاقتراب أو التباعد من العالم

تؤمن الكنيسة بامتداد حضور المسيح داخل كنيسته متحد الطبيعتين الإلهية والبشرية وقد هاجم أصحاب البدع هذا الإيمان مع نشأة المسيحية، وتم محاربة وإخماد هذه البدع التي تشكّك في الإيمان بحقيقة

المسيح، كما شكّك البعض في حقيقة الكنيسة حتى يومنا هذا وهدفهم هو نزع العنصر الإلهي عن الكنيسة وجعلها قائمة على العنصر البشري فقط. ولا يمكن لأي من الكنائس أن تعيش في عزلة عن العالم بهيئاته ومنظماته المدنية فهي تسعى سواء كانت أرثوذكسية أو بروتستانتية أو كاثوليكية للمشاركة مع هذه المنظمات المختلفة في كل ما يخدم الإنسانية جمعاء تعبيراً عن النعمة الإلهية كعنصر روحي من خلال هذه الخدمات.

وفي هذا المجال تحدث العديدون نذكر منهم اللاهوتي العلماني الروسي **أليكس هيوماكوف** الذي يقول: علينا أن نجد الطريق الوسيط بين البروتستانت والكاثوليك على مثال المسيح ذاته الوسيط الوحيد بين الله والبشر.

وأيضاً **سيرج بولجاكوف**[16] **Sergei Bulgakov** يقول: «**على الكنيسة أن تهتم فقط بما يؤله الخليقة**» لذلك فكل الأشياء يجب أن تكون صورة حية للحقيقة الإلهية وهذا هو دور الكنيسة وهدف وجودها في العالم فإذا أردنا أن نعرف مدى التقدّم الذي مرّت به الكنيسة الكاثوليكية على مدار ألفي عام من هذه الناحية نجد ما لا نستطيع حصره لخدمة البشرية كلها.

[1] **سيرج بولجاكوف Sergei Bulgakov** ولد في مدينة ليفتي بروسيا من عائلة مسيحية، بعد صدمة إيمانية في مرحلة شبابه بدأ يدرس في موسكو، وفي عام 1903 نشر مجموعة من كتبه عن "الماركسية والمثالية" في عام 1917 عاد إلى المسيحية مرة أخرى ونشر العديد من الأعمال. تركز فكره على الكرستولوجية توفي عام 1944.

الفصل السابع
حب الكنيسة

العناصر الأساسية في العبادة الكنسية

المسيح حاضر في الكنيسة جسده السري: في الأسرار وبصفة خاصة في سر القربان المقدس وفي جميع ما هو مقدس وفي الأشخاص أيضاً. لذلك نستطيع أن نقدّر ونحترم كل أعضاءه وقبل كل شيء هؤلاء الكهنة الذين أوكل إليهم توزيع النعم الإلهية. وفي هذا المجال نذكر ما قاله القديس فرنسيس الأسيزي: « **أردت في أحد الأيام أن أقابل أحد القديسين الذين جاءوا من السماء وقد كان كاهناً بسيطاً وحين بدأ هذا الكاهن في إلقاء العظة أصغيت إليه بكل خشوع، وحال انتهاء عظته أردت أن أقبّل يديه. ويقول** القديس فرنسيس الأسيزي **أيضاً انتظروا القديس لورنسو وقبّلوا يديه لأنهما قد لمستا كلمة الحياة يسوع المسيح حقاً** ».

يخص هذا الكلام في مضمونه كل أعضاء الجماعة الكنسية ويقول أحد اللاهوتيين الفرنسيين في هذه النقطة: «**إن جسد المسيح السري في جوهر روحه يتشابه تماماً مع العذراء مريم، فقد لمست مريم بيديها كل أجزاء الطفل يسوع عندما كان محتاجاً لمن يلبسه ويحرك يديه ورجليه وقامت بكل الخدمات التي كان محتاجاً إليها في صغره كطفل**». محبة الكنيسة تدعّم محبتنا لذواتنا لأن الإنسان يجد نفسه في الكنيسة ومن خلالها.

الكنيسة أم

كتب القديس أغسطينوس وقال: «**أحبب أباكَ ولكن ليس أكثر من إلهكَ أحبب أمكَ ولكن ليس أكثر من الكنيسة التي قد أنجبتك للحياة الأبدية... لذلك علينا أن نحب المسيح إلهُنا وأن نحبب كنيسته لأنهُ السيد وهي خادمته ولأننا أبناء خادمته، يا لعظمة هذا الحب الذي يعطي القوة الحقيقة في اتحاده القوي: ولا توجد قوة قادرة على أن تخرج واحدة منها بمنعزل عن الأخرى**».

"**الكنيسة أم**" أُطلق هذا اللقب عليها واستخدم منذ القدم مع بداية تأسيسها، فقد اعتبرت الكنيسة عائلة كبيرة حيث الأولاد يولدون وينمون حتى يصبحوا شباباً أقوياء. إن ميلاد طفل يأتي نتيجة العمل الجماعي بين الأب والأم، الأب للمسيحيين هو الأب السماوي ويُطلق على الكنيسة لقب الأم، لذلك كتب القديس يوحنا ذهبي الفم لمن ينالوا سر العماد المقدس قائلاً: «**من المحببُ لديَّ أن أدعوكم إخوة لأن الكنيسة أنجبتكم فأحتضنكم كأشخاص في العائلة**».

وفي هذا السياق نجد للكنيسة لقباً آخر مستخدم منذ القدم وهو: **حواء الجديدة**، وهذا ما يوحي به نص القديس بولس: "*ولذلك يترك الرجل أباه وأمة ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً*. (تك 2: 24). "*إن هذا السر لعظيم، وإني أقول هذا في أمر المسيح والكنيسة*" . (أفس 5: 31- 32). وأضيف شيئاً آخر على هذا هو أن حواء قد خُلقت من آدم عندما كان نائماً والكنيسة وُلدت من موت المسيح على الصليب عندما خرج من جنبه دمٌ وماء (يو 19: 34)، وهما أول الصور الأساسية لسري العماد والإفخارستيا.

مريم أم الكنيسة

يدعون الكنيسة **أماً** لما يوجد بينها وبين مريم العذراء من رباط، ومما ساعد آباء الكنيسة على أن يشيروا إلى أن مريم كالكنيسة وجود العديد من النساء في العهد القديم.

اللقب المريمي "**أم الكنيسة**" أُعيد استخدامه في وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في موضوع الحديث عن مريم العذراء وهذا اللقب محبب أكثر من لقب "**المحررة**" فحتى لو كانت مريم كالكنيسة محررة ومخلصة إذ تجمع الأشخاص لتحريرهم وتهدف لخلاصهم فإن يسوع هو المحرر والمخلص الحقيقي بميلاده وموته وقيامته وكما تشكّل الأحداث التي مرّ بها جزءً من حياته الأرضية، كذلك تشكّل العذراء جزءٍ أساسياً من المخطط الخلاصي. ويؤكّد آباء الكنيسة ذلك بقولهم أن الأجيال الأولى للخليقة أتت من نسل آدم وحواء وأصبحت جزءً منهما، وكذلك المسيح هو آدم الجديد ومريم هي حواء الجديدة والكنيسة جزء منهما.

لقد كانت أسرار حياة المسيح الأرضية عميقة كذلك مريم بسبب أمومتها للمسيح تظل في التاريخ "**رافقته في نموه**"، حقاً "*أماً لكل الأحياء*" (تك 3: 20). «**من (مريم) من هنا يأتي المعنى الحقيقي لحواء لذلك استطاعت أن تظهر وتعرف في صورة أم كل الأحياء....، وفي الحقيقة نجد هنا أن مريم قد ولدت حياة العالم لأنها ولدت الحي ولذلك لقبت أم كل حي**». إن الحياة تنبع من المسيح وتلد مريم كل الذين يحيون في المسيح، وأمومتها للمسيح الرأس تجعلها تعيش أمومتها في الأعضاء أيضاً. يتضح لنا من خلال هذه السطور القليلة أن سر الكنيسة يتبع سر مريم حسب التقليد ومن خلال خبرة شعب الله لهذا السبب يصبح احترام مريم أم الله التي اعتبرت منذ البدء على أنها رمزاً للكنيسة المستقيمة جزءً من تراث الكنيسة.

شهادة الأيقونة

من خلال الرسومات التقليدية للأيقونات نجدها توضّح التعليم الآبائي القديم فنجد مثلاً موضوع مريم- الكنيسة قدّم تطوراً جيداً خصوصاً في أيقونة الصعود. فإحدى هذه الأيقونات من القرن الخامس عشر موجودة بمعرض موسكو مستوحاة من نصوص طقسية بيزنطية حيث يقول المرنمون: «**لقد اكتمل العمل الخلاصي اليوم وتعانقت السماء بالأرض وصعد المسيح إلى السماء في مجده... ارحمنا يا يسوع إلهنا الذي بدونك كل الأشياء في حياتنا مشتتة وبلا معنى. إلا أنه يرد عليهم قائلاً: أنا معكم دائماً وليس أحدُ يستطيع أن يسيطر عليكم**».

يبدو وكأن إعلان الخلاص هذا معاكس لما تعلمناه حيث تقدّم الأيقونة المسيح الله- الإنسان صاعداً إلى السماء، وفي الجهة المقابلة على الأرض نجد اثنين من الملائكة بثياب بيض لامعة على جانبي أم الله مريم وسط الرسل شهادة لحلول السماء على الأرض أي ميلاد الكنيسة. ولأنه من خلال بركة المسيح السمائية للرسل استطاعوا أن يؤسسوا الكنيسة نلاحظ أن ثيابهم الغنية بالألوان استطاعت أن تشكّل ثوب عروس المسيح ونلمح في وسط الرسل مريم العذراء عبارة عن صورة الكنيسة، صورة الأم التي تنجب أبناء الله وتشغل المكان الرئيسي مثل قداسة الكنيسة أمام العالم وهي الرمز الأساسي الذي فيه تتحد السماء بالأرض كما يعبّر رمز اليدين عن الغموض.

ونجد بينها وبين الرسل في نفس المشهد شجر الزيتون الذي يعبّر عن الأعمال الحسنة على الأرض من خلال ثماره التي يفيض بها الشجر بقوة الروح وعمله رغم فساد الأرض. وبهذا المعنى يتحوّل كل ما هو غير مرئي إلى ما هو مرئي.

نص ذو طابع خاص

لقد ترك **أليكس هومياكوف** أثراً فكرياً دينياً هاماً في روسيا برغم أنه كان علمانياً لكن فكرته الأساسية كانت الحياة المشتركة مع الكنيسة التي إذا فقدها أحد فقد كل شيء ويظل وحيداً معزولاً لأن من يريد أن يخلص فإنه يخلص من خلال اتحاده بالآخرين في الكنيسة بمعنى «**أن الإنسان يجد نفسه ضعيفاً في عزلتهِ لكن قوتهِ تولد بالاتحاد الروحي العميق مع إخوته ومخلصه**» لأن الإنسان في الكنيسة يجد كماله وبطبيعة الحال يستعيد صورته الإلهية الأولى التي يفقدها كل من يريد أن يحيا منعزلاً وهذا كله ينتج عندما نتبادل الحب مع بعضنا كمسيحيين في المسيح يسوع. لأن هذا الحب هو روح الله ذاته، وبالأكثر أن المسيح الحي فينا يساعدنا على أن ننتظر مجيئه الثاني بفرح وتهليل، الكنيسة أيضاً مقدسة وبلا عيب بيت للقربان الحي بالروح الإلهي المحيي من خلال يسوع المسيح المخلص المتحد كلية بأبيه، الكنيسة هي الوحيدة التي لها حقاً عظمة السماء في عالمنا الأرضي من خلال ما يمارس بها من أسرار مقدسة لأنها تساعدنا على أن نحيا ونعيش الروحانية المسيحية في حياتنا وفي عالمنا.

الفهرس

مقدمة الناشر

مقدمة المترجم

المقدمة العامة

الفصل الأول: مدعوون من الآب متحدين بالابن في الروح القدس

الاسم "كنيسة"

المعبد الجديد

مدعوون لنكون فعلة في كرم الآب

جسد المسيح السري

1. الوحدة والتعددية لعطايا الروح
2. الوحدة تتحقق من خلال الاتحاد بالمسيح
3. الاتحاد بالمسيح يشركنا في وحدة الثالوث
4. الاتحاد بالمسيح تقدّم نحو الكمال

الروح القدس، نفَس الكنيسة

الفصل الثاني: التجاوب مع دعوة الله

الإيمان الحي

عروس المسيح

المظاهر الكنسية للصلاة

الاعتراف الجماعي بحقيقة الإيمان

التقليد الكنسي

الكتاب المقدس والتقليد

الإيمان والتقليد حسب المجمع الفاتيكاني الثاني

تعددية التقاليد

الفصل الثالث: قداسة الكنيسة

قداسة وجودية

مكان للتقديس

قراءة حياة القديسين

الكنيسة والخطأة

تقديس العالم

الأسرار

تقديس الزمن

شركة القديسين

الفصل الرابع: رؤية الكنيسة في الطقوس

السماء على الأرض

المظاهر الأساسية للطقوس

1- قوة الوحدة

2- في الطقوس الكنسية يُعطى المجد للآب والابن والروح القدس

3- تعليم الحقيقة

4- البعد التأملي للطقوس

5- البعد التذكاري

6- سر الشكر

7- الزمن المقدس

8- البعد الأخروي

الفصل الخامس: وحدة الكنيسة

كمال الوحدة

الوحدة في جسد ودم المسيح

الوحدة في الإيمان والصلاة

الوحدة في القانون الإلهي

الاتحاد الثقافي

جامعة

الوحدة في الخلافة الرسولية

السلطة المقدسة

سلطة القانون والنظام، سلطة الحب الروحي

الطاعة للبابا

جماعة الأساقفة

وحدة شعب الله

الوحدة الأخروية ووحدة الفضائل

صورة الثالوث المقدس

الفصل السادس: الكنيسة والعالم

الكنيسة والعالم

علاقة الكنيسة بالدولة والمنظمات المدنية

علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالمسيحيين الآخرين

علاقة الكاثوليك مع غير المسيحيين

الحرية الدينية

الكنيسة والفن

خطورة الاقتراب أو التباعد من العالم

الفصل السابع: حب الكنيسة

العناصر الأساسية في العبادة الكنسية

الكنيسة أم

مريم أم الكنيسة

شهادة الأيقونة

نص ذو طابع خاص